روايات الهلال

قط وفأر في قطار

فتحي غانم



روايات الهلال

Rewayat Al Hilal

سلسلة شهرية لنشر القصص العالمي

تصدر عن

مؤسسة دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

نائب رئيس مجلس الإدارة
عبدالحميد حمروش

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

سكرتير التحرير
محمود قاسم

ثمن النسخة

سوريا: ١٠٠ ليرة، لبنان: ٦٠٠٠ ليرة، الاردن: ٢٤٠٠ فلس، الكويت: ١٥٠٠ فلس، السعودية: ١٢ ريالا، تونس: ٢,٥ دينار، المغرب: ٣٠ درهما، البحرين: ١,٢٠٠ دينار، الدوحة: ١٢ ريالاً، دبى/ابوظبى ١٢ درهما، مسقط: ١,٢٠٠ ريال. غزة/الضفة/القدس: ٢ دولار. لندن: ٢ جك.

العدد ٥٦٠
أغسطس ١٩٩٥ م ● ربيع أول ١٤١٦ هـ

No - 560 - Aug - 1995

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ٤٨ جنيها داخل ج . م . ع تسدد مقدما نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية ـ البلاد العربية ٣٥ دولارا ـ امريكا واوربا واسيا وافريقيا ٥٠ دولارا ـ باقي دول العالم ٦٠ دولار. القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفي لامر مؤسسة دار الهلال ـ ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد.

الاشتراك في الكويت : السيد عبدالعال بسيونى زغلول الصفا ص . ب ٢١٨٣٣ (13079) ت : ٤٧٤١١٦٤
الادارة : القاهرة ـ ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت : ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط) المكاتبات : ص . ب : ٦١ العتبة ـ القاهرة ـ الرقم البريدى ١١٥١١ ـ تلغرافيا : المصور ـ القاهرة ج . م . ع .
تلكس : TELEX 92703 hilal u n
فاكس : FAX 3625469

قط وفأر فى قطار

بقلـم
فتحى غانم

دار الهـلال

الغلاف والرسوم الداخلية
للفنان : حلمـى التونى

الفصـل الأول

قالت بصوتها المرح الساخر :

– لا تضيع وقتنا .. اترك كل شىء واركب القطار !

ثم أردفت بسرعة ولهفة من يريد أن يطمئن :

– طبعا الأوراق جاهزة .. والعمليات تمت .. وضحكت ، لم تكمل لأنها تتوقع مثله أن خطوط التليفونات مراقبة ، وهى لن ترتكب فى الساعات الأخيرة هفوة تتسبب فى كارثة وضياع الملايين ، حلمها الكبير ، الملايين فى سويسرا ، وهى معه فى الأرجنتين .. ربما هاواى .. بلاد الله واسعة ، وغدا نبدل أوطانا بأوطان .. العالم يفتح لنا ذراعيه طالما كانت الملايين فى حوزتنا ، أنت لاعب شطرنج لا تضيع وقتك فى خطط تنتهى على رقعة من الخشب ، وتفرح عندما تقول لخصمك كش مات .. خطط للحياة ، للمتعة والبهجة ، لك حق الاختيار ، أما السياسة فاركلها بقدمك غير مأسوف عليها ، ولا تكتب مذكراتك فلن يصدقها أحد . أنت أول من يعلم أنهم سيتهمونك بالفشل ، اسمع نصيحتى ، أعصابك مرهقة لأنك تؤذن فى مالطة ، والفرصة أمامك سانحة ، ولن تتكرر ، استخدم سلطاتك الممنوحة لك كمحامٍ وانقل الودائع باسمك إلى سويسرا .

كان قد انتهى من تحويل ودائعه ، واطمأن إلى انها استقرت فى لوجانو

التى يفضلها على زيوريخ وبازل ، المساهمون يثقون فيه ، من يخطر بباله انه يهرب بأموالهم ، ربما عوضهم فيما بعد ، فالمشروع محكوم عليه بالفشل ، والذين ساهموا بالملايين من الشرق يطالبون بعكس ما يريده الذين ساهموا بالملايين التى وصلت من المغرب ، وأموال الشام تنتظر من المشروع ما لا تنتظره أموال الخليج ، الجميع اتفقوا على أهمية المشروع ، ووثقوا فيه ، لو أرضاهم جميعا فسوف يتمزق أشلاء بين شرق وغرب ، وشمال وجنوب .. اتصل بهم واحدا واحدا ، وطمأنهم جميعا ، حصل على الموقع ، وسوف يرتفع البناء شامخا بعد عام ، والمصانع فى ألمانيا واليابان تجهز القمر الصناعى الذى ينطلق إلى كل ركن فى المعمورة ، ومعه برامج الدين والسياسة والتسلية والثقافة ومباريات كرة القدم والسلة والطائرة ، وكل ما يخطر بالبال أو لا يخطر من إعلانات .

سألوه : إلى أين ؟ وسألوه : متى يعود ؟ وكذب لأنه اقتنع بكلامها ، واتخذ قراره ، مضت أيام الندم واللوم والعتاب ، مضت أيام الأحلام الرومانتيكية .. دقت ساعة العمل .. نظر فى ساعته يتعجل موعد القطار ، ولم يصبر على البقاء داخل الفندق ، لا يريد أن تصله مكالمة أو يأتى إليه زائر ، خرج مسرعاً من الفندق وعبر الشارع إلى شاطىء النيل ومشى على الرصيف ، بينما سائقه جالس فى السيارة ينتظر منه أن يشير إليه ، هاهو النيل ، يريد أن يلقى نظرة أو نظرات أخيرة إلى هذه المياه تتدفق متمهلة بينما داخلها دوامات تدور بعنف يحاصرها الانسياب الوقور للنهر .

ورأى شبانا يتسكعون يتمايلون ، يمرق بينهم شباب مندفع يزيحون من يعترضهم بأكتافهم وأذرعهم ، وصياح ، وشتائم ، وصوت مطربة ينطلق رفيعا حادا من عربة ترمس ، ودكك حجرية على الرصيف تجلس عليها فتيات محجبات ، أو منقبات بجوارهن شبان يهمسون .. ماذا يقولون ؟ ماهى لغة الحب بين شباب يرتدى الجينز ، ومحجبات كورنيش النيل ، الحب كانت له أيام فى هذا البلد الذى كان وطنا يجرى فيه النيل ، ذكرياته تكتنفها عتمة وتشيع فى نفسه أسى أحياناً واكتئاباً أحياناً ، ما الذى تبقى من الحلم الذى كان حياته . انفجر ضاحكا غير مكترث بنظرات الدهشة يوجهها إليه شبان يتسكعون ، آه لو علموا بأمر الأوراق التى فى جيبه ، صكوك بالملايين ، لن يفهموا ما بها من أرقام ، مياه النهر مازالت تتدفق ، لن تتوقف ، افكاره لن تتوقف ، الأحلام لن تتوقف ، أو لعلها توقفت .

التفت إلى الناحية الأخرى ، وأشار إلى السائق أن يلحق به لم يعد يحتمل البقاء بين هذه الجموع على الرصيف ، أدار ظهره للنهر يخشى أن يلتفت إليه ، لم يعد أمامه سوى ركوب القطار ، رأى رجلاً يحدق فيه بنظرات قوية ، ربما بهرته السيارة البويك التى ركبها وانطلقت به .

* * *

اندفع داخل المحطة وسط زحام كثيف من الأجساد ، أمر السائق أن يتركه ، لم يعد فى حاجة إليه ، يوم حشر ، فرقة من الجنود مدججة بالسلاح تدق أرض المحطة بقوة فينشق الزحام فى موجات تتدافع من أجساد تضغط ضلوع بعضها بعضا ، ولا أثر لنساء أو أطفال ، اختفوا أو سقطوا تحت الأقدام لا يسمع لهم أنين أو حشرجة استغاثة ، تذكر مواكب الجنود العائدة من الفالوجة ، رآه يعود معهم ، فلما قابله عند مدخل العمارة هنأه بسلامة العودة ، وقال له : إنه شاهد الموكب فى ميدان الأوبرا ، رأى فى عينيه وميضاً وسمعه يردد بصوته المعدنى :

- كدب .. تمثيل فى تمثيل ..

وكان يبتسم .. لا يبدو عليه إجهاد اشتراكه فى الاستعراض ، ولا معاناة الحصار الطويل فى الفالوجة ، بل يسأل باهتمام وهما صاعدان إلى مسكن لطفى :

- أمازلت تلعب الشطرنج ؟

أجاب وهو يعجب لهذا الذى نجا من الحصار ومازال يفكر فى الصراع .. حتى لو كان حول رقعة شطرنج :

- نعـم ..

وهكذا استأنف مبارياته مع الضابط العائد من الحرب ، من كان يصدق أن هذا الضابط كان يحلم بثورة ، كان يتحدث أحيانا عن أحلامه ، فتومض عيناه ببريق يخترق محدثه ، يؤكد أنه لا يحلم بل يتكلم عن واقع لابد أن يقع ، إذا انهزم فى طابق شطرنج قال باستخفاف إن رقعة الخشب ليست وطناً ولا مجتمعاً .. وهذه القطع لا علاقة لها بالبشر ، لكنه كان حريصاً على أن يلعب ويقول له : تعجبنى رؤيتك للاستراتيجية والتكتيك ، إنها لا تختلف عن كثير من المبادىء التى أقوم بتدريسها فى الكلية .

كيف عرفت قواعد التعبئة .. وعلاقة الجناحين بالوسط .. ومتى يتحرك القوى لمساندة الضعيف .. ومتى يتحرك الضعيف ليشد أزر القوى .. جمع بينهما صديقهما لطفى عبد الحميد القاضى، جار لضابط الفالوجة، وزميل دراسة للمحامى بطل الشطرنج ، وكانت بين لطفى والضابط علاقة حميمة ، لم يستطع أن يسبر اغوارها ، وإن شعر بها من نظرات يتبادلانها وهمسات ، وتحفظ فى الكلام أمامه خارج لعبة الشطرنج .

وسأله الضابط ذات مرة إذا كان راضياً بمهنة المحامى ، كانوا فى بيت لطفى كعادتهم ، أجاب بغير اكتراث أن الذى فرح بدخوله كلية الحقوق هى أمه ، لأنها سمعت أنها الكلية التى يتخرج فيها الوزراء ، قال الضابط بلهجة من يستنكر ما يسمعه إن شهادة الوزير هى الحسب والنسب والثروة والفدادين ، وأشار إلى صديقه لطفى وقال :

ـ مثل عائلة لطفى .. لولا أنه اشتراكى ..

فقال لطفى معترضاً :

ـ أنا مع الإنسانية .. وبصفتى قاضياً .. أنا مع العدالة ولست مع المذاهب السياسية .

فقال لـه :

ـ لو حاربت الإنسانية والعدالة ومزقت شهادة الحقوق فستجد الطريق مفتوحاً أمامك لتولى الوزارة ..

وجاء يوم فقال للضابط : إنه لا يستطيع أن يلعب الشطرنج لأنه لم يذق النوم .

قال الضابط :

ـ هذه فرصتى لأهزمك ..

فاحتج لطفى وقال مداعباً صديقه :

ـ لا أعرف أنك تنتهز مثل هذه الفرصة لتحقق نصراً .

قال بسرعة وعيناه تبرقان بوهج غريب :

ـ طبعاً .. لا .

ثم سأل :



www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

ـ ولماذا لم تنم ؟

أجاب وهو يدرس رد الفعل على وجه ضابط الفالوجة :
ـ شاهدت جريمة قتل .. كنت أشك وأستريب فى حدوثها .. ثم تأكدت بالأمس من وقوعها .

لم يهتز له رمش .. أما لطفى فقد صاح :
ـ أعوذ بالله .. من القتيل ؟!

بينما كان الضابط يسأله :
ـ تقول شاهدت الجريمة ؟

أجـاب :
ـ نعم شاهدتها تقريباً .

فإذا بالضابط يبتسم .. ويلقى بسؤاله كما لو كان اكتشف مربعاً على رقعة الشطرنج ينقل إليه الوزير ويقول كش مات .

ـ تقول تقريباً .. ماذا تعنى كلمة تقريباً ؟

قال المحامى فى إصرار :
ـ رأيتهم ينقلون الجثة .

أصر الضابط باهتمام غير عادى أن يسمع التفاصيل .. وانطلق يروى .. استيقظ وقد سمع صرخة .. خيل إليه أنه يحلم .. لكن حجرته قريبة من السلم ، فتح باب الشقة وأطل فى الظلام كان هناك رجال يحملون ما اعتقد أنه جثة ملفوفة ومربوطة بحبال ، ذهب إلى النافذة فرأى سيارة تنتظر وانطلقوا باللفافة الكبيرة ، بعد ذلك بدأت حركة نقل الأثاث مع شروق الشمس ، كان واثقاً أنهم قتلوا ليلى .. لكنه راجع نفسه ، إنها أجمل فتاة فى الحى ، ووجودها معه فى العمارة ، كان يثير ارتباكه ، وكانت تغنى أغانى فريد الأطرش بحماس وانطلاق ، وتصيح من أسفل السلم تنادى على أمه التى تشاركها الإعجاب بفريد .. وأحيانا تصعد إليها وتتحدثان معاً فى المطبخ ، وكان يطيل النظر لوجهه فى المرآة ويتساءل إذا كان جباناً ومتى يحطم الخجل مثل الشبان الآخرين ، وكان يرقبها من خلف النافذة وهى تنتظر شاباً اسمه أنور يدهن شعره بالبريانتين ويمر أمام العمارة

www.library4arab.com/vb

ويبتعد ، وبعد قليل تهبط إليه ، وانتشرت الهمسات فى الحى وتربص بعض الشبان بأنور ، ولما اختفت ليلى وأسرتها وانتقلوا فجأة قالت شائعات ، إنها حملت سفاحاً ، وذهبوا بها إلى مكان بعيد ، ثم كان ذلك النعى فى الأهرام ، توفيت إلى رحمة الله ، شيعت الجنازة ، ولا عزاء للسيدات ، مع ذلك فوجىء بأمه تذهب إلى الزيتون للعزاء ، صممت على الذهاب بجرأة لم يتوقعها ، رفضت الفضيحة ، رفضت أن تصدق أن ليلى ماتت قتيلة ، رفضت كل ما سمعته ، مع أن الشائعات كانت أقرب إلى العقل وتفسر وفاة بنت لم تبلغ العشرين ، عندما رأى أمه بعد عودتها من العزاء انشق قلبه وسأل نفسه كيف وقف يتفرج على الجريمة ، كيف اكتفى بالمراقبة ، ربما كانت لا تزال حية وهم ينقلونها إلى السيارة ، ولم ينم .

سمع صوت الضابط يقول :

ـ لو كنت مكانك .. كنت تدخلت ..

قال لطفى :

ـ كيف .. هل تدافع وأنت من الصعيد عن فتاة حملت سفاحاً ؟!

قال الضابط بلهجة غاضبة وعيناه تومضان ببريق حاد :

ـ ماكنت انتظر حتى أراها جثة مربوطة فى الحبال .. التدخل يبدأ منذ كانت تدخل بيتك وتزور أمك ..

فسأله فى دهشة :

ـ ماذا كنت تفعل .. أعنى أنت ؟

قال بسرعة :

ـ لا أعرف بالضبط .. لكن هناك عشرات الحلول .. مثلاً ..

وتوقف باسماً قبل أن يقول :

ـ من يدرى .. كنت وجدت لها ضابطاً شاباً يتقدم لخطبتها .. كان من الضرورى أن أبحث عن شىء لحمايتها ..

ثم ضحك وقال :

ـ لابد من التصرف لمواجهة الشر .. لا أتفرج كما لو كنت أنا الفتاة المغلوبة على أمرها .

وأشار بيده إلى رقعة الشطرنج قائلاً بلهجة آمرة ..

- العب ..

وحرك بيدقا مبتدئاً اللعب ، وهو يقول :

- فى هذه الدنيا لا يكفى أن نتفرج .. لابد أن نتدخل .. لا نستسلم .. لا تقل أنك لا تريد .. ثق أن الذى يقول لك لا أريد مالا .. لا أريد سلطة .. لا أريد .. إنما يخفى الشر الذى يريده .. إنه يغلق الأبواب ويسدها متظاهراً بأنه عفيف يصمد ضد الشر ويقاومه ، وهو فى الحقيقة يعطى الشر الفرصة ليتسلل من الأبواب المغلقة وينفرد بفريسته .

ولاحظ أن لطفى ينظر بإعجاب شديد للضابط وهو يتحدث ، ولم يدرك أنه كان يستعد للثورة وهو يتألم لفتاة تحب أغانى فريد الأطرش ، لم تجد العون من أهلها أو من جيرانها ، كان مشغولاً بالإعداد لثورة ، مشغولاً بلعب الشطرنج ، ومشغولاً فى نفس الوقت بأن يقضى ساعة يستمع فيها إلى تفاصيل بنت تحوم حولها شائعات أنها حملت سفاحاً وقتلها أهلها ، ولم تجد من بطل الشطرنج أية معاونة ، أو حماية ، كأنه يثبت له أن رقعة الشطرنج غير رقعة الحياة ، فى ذلك اليوم هزمه ضابط الفالوجة وقال له باسماً :

- هذا عقاب لك .. لأنك تخليت عن البنت المسكينة .

* * *

كانت صفوف الجنود مازالت تتقدم تدق أرض المحطة ، ذاهبين مع قوات الأمم المتحدة إلى البوسنة ، أيام الحاضر ، وأيام الماضى ، ترى لو كان مازال هو القائد يقول إن هؤلاء الجنود فى استعراض كله كذب وتمثيل فى تمثيل ، عندما عادوا فى أيامه من سيناء على أقدامهم بلا قطارات ولا محطات ، ذهب يطلب مقابلته ، تذكره فأمر بأن يدخل عليه ، جلس قبالته صامتاً ، ثم استدعى شجاعته وهمس معزياً :

- لا أدرى ماذا أقول ..

قال له والوميض مازال يشع فى عينيه يفضح ألماً ناجماً :

- بوروندى ..

نظر إليه متسائلاً :

ما الذى يعنيه هذا القائد الحزين ، فسمعه يكرر :

ـ بوروندى .. كنت أحلم بمصر .. فأفقت لأجد نفسى فى بوروندى .. وكانت الآلام تمزق ساقه ، والوجع شديدا وهو يهمس :

ـ بترها أسهل من بتر سيناء .

هاهى قوات الجنود تتقدم بقوة ، ودق الطبول والصاجات والأبواق النحاسية يهز المحطة فى عاصفة مدوية وكاميرات التليفزيون تلتهم كل ما يمر امامها وتسد الطريق أمامه ليصل إلى رصيف قطاره . لن تتكرر مأساة المرة السابقة ، عندما وصل إلى الرصيف والقطار يتحرك ، يومها جرى لاهثاً ليلحق به ، لعن السائق والكمسارى الذى وقف عند باب عربة يرقبه ، ولعن هيئة السكك الحديدية ، ولعن الحكومة ، ولعن ركاب القطار الذين يبحلقون من نوافذهم .. بعضهم يضحك ساخراً منتشيا وبعضهم يلوح له فى خبث .

يريدون مشاهدته وهو يحاول اللحاق بالقطار ويتسلون بمعجزة لحاقه به أو مشهد هزيمته ليشمتوا فيه .

قالت له عندما عرفت أن القطار فاته :

ـ الذنب ذنبك .

ثم أردفـت :

ـ أنت لم تتم التحويلات بعد ، لذلك لم تلحق بالقطار .

كان تحويل الودائع إلى "لوجانو" هو شرط السماح بركوب القطار ، الآن الأوراق كاملة فى جيبه ، كل التفاصيل ، رءوس الأموال منقولة وأصحابها أصدقاء يحترمونه ويثقون فيه ، ويثقون فى تاريخه وسمعته .

آخر هدية وصلت كانت السيارة البويك التى جاءت به إلى المحطة .

قالت له وهى تركب معه السيارة :

ـ لماذا اختار لك البويك ؟!

قال ضاحكاً :

ـ إنه يشترى السيارات كما تشترين حبات المانجو .. ثلاث حبات مرسيدس .. ثلاث حبات كاديلاك .. خمس حبات بويك ..

قاطعتـه :

- مرتبتك عنده فى حدود البويك .. لماذا لم تطلب لى حبة مرسيدس .

وانفتح الطريق أمامه .. إلى الرصيف حيث وجد القطار ينتظره ، هاهو القطار الذى يبتعد به عن الماضى وأحلامه وذكرياته القديمة ، كان من بينها - يوماً ما - حلم بناء مصر بسواعد المصريين ، وابتسم وهو يرى الواقع الذى يمثله .. هو حلم سرقة مصر بسواعد أبنائها المصريين ، وخطر له خاطر أفزعه ، لو كان ذلك الذى مات مازال حياً ، كان يطارده أينما يذهب ويأمر رجاله ليعودوا به فى صندوق مغلق ، لكنه يستطيع أن يدافع عن نفسه ، كل هذه الأموال مدفوعة لاستثمار اسمك .. كلها للتجارة باسمك ، يحاربون بعضهم بعضا ، وكل فريق يرفع رايتك ، ويذكر اسمك ليحتمى به ، أنت الزعيم الخالد مجرد واجهة لمؤامرات يدبرونها ، الهرب بهذه الأموال يوقف الفتنة ، وسوف أتمتع بالمال ثمناً للجهود التى أبذلها لانقاذ اسمك من حروب قذرة ، لو كان حياً ماكان أحد دفع إليه مالاً ، اهتموا به بعد وفاته ، لأنهم عرفوا أنه كان يلعب معه الشطرنج ، ولأن هناك من همس بأن هذا المحامى الذى لا يعرفه الناس تزوج بقرار جمهورى منه .

انتبه إلى عيون ترقبه ، خيل إليه أنه رأى هذا الوجه الغريب من قبل ، وجه فأر .. أين .. انقبض صدره وهو يكتشف أنه وجه الرجل الذى كان يتفحصه وهو يركب البويك فى طريقه إلى المحطة ، أهى مصادفة ، أم ماذا ؟.. كانت الطبول تدق والصاجات تصدح والأبواق النحاسية ترسل أصواتاً دسمة رخيمة ، وصعد إلى عربة الدرجة الأولى ، كانت شبه خالية ، ورآه جالساً أمامه بينهما رقعة الشطرنج ، تذكره وهو يقول له :

- لا تمثل دور الساذج الذى يحلم أحلاماً صغيرة .. الحلم العادى البسيط كالسطح الأملس الناعم تنزلق عليه بسهولة ، وقد تتحطم لك ساق أو ضلع ، مات ودفنوه وشتموه .. وقالوا إنه يحتفظ بخمسة عشر مليونا ودائع فى سويسرا ، ما رأيك لو قلت لك إنى انتقمت لك وحولت خمسين مليوناً ، وشعر بهزة تنبىء أن القطار يتحرك ، مبتعداً به عن كل هذا الذى كان ، ورأى ملامح وجهها باسمة وهى تستقبله ، وقد اطمأنت إلى نجاح الخطة .

وفوجىء بقط أسود يمرق بين قدميه متجهاً إلى نهاية العربة .. وكانت على الرصيف قطط سوداء .. كأنها جاءت تودع القطة التى ركبت القطار .

www.library4arab.com/vb

الفصـل الثانـى

ألقى برأسه إلى الخلف يستدعى راحة طال غيابها ، ورأى ملامح وجهها باسمة تنتظره . لقد بدأت الرحلة التى تنتهى هناك فى الأرجنتين .. ربما هاواى .

استسلم للحقول وأشجار الكافور والزيتون ، وأقبلت أبقار وحمير وجاموس ، وهناك خلف السواقى يختفى أولاد يذكرونه بابن عمه برعى وهما طفلان يلعبان السيجة تحت الجميزة . كان العفريت يظهر لبرعى ويصادقه ، ويروى برعى عن مغامراته مع العفريت ، ويتمنى لو أنه شاهد العفريت لكن برعى يقول له إن العفريت لا يظهر للقادمين من المدينة . ورأى سيارات نقل تسابقها سيارة إسعاف .

ورأى أعمدة نور وأعمدة أسلاك كهرباء ، وبيوتا من الطوب الأحمر وسط الحقول الخضراء تنبت منها أطباق فضاء كنبات ضخم لعش الغراب . وانتبه إلى مفتش القطار يطلب تذكرة السفر . ناولها له . وفحصها الرجل برهة ، وبدا أنه يريد أن يقول شيئا ، وخطر له خاطر عجيب . إن المفتش قد يسأله عن إيصالات إيداع الأموال فى بنوك سويسرا ، ولكنه اعاد التذكرة وقد تجمدت ملامح وجهه ، كأنه لا يتنفس . ماذا به ، هل يعترض على شىء . ودار الرجل على عقبيه وابتعد صامتا متجهما . فدقق النظر فى تذكرته قبل أن يعيدها إلى جيب سترته ، وشعر بالاختناق ، فخلع السترة

ووضعها على المقعد أمامه ، وعاود النظر من النافذة . وطافت برأسه كلمات تصاحب ما يراه من مشاهد القرى النائية ، مع السلامة ، النجوع ، الكفور ، السواقى ، برعى . العفريت ، أم الشعور لو يداعب النوم جفونه . الأرق يلازمه فى الليل كما يلازمه فى النهار لم يعد يعرف اليقظة والنوم ، إنه فى حالة أرق دائم ، وهاهى فى ذلك الحفل بالسفارة الأمريكية ، تقول له إنها سمعت عنه ، ابتسامتها جذابة ، وعيناها أيضا ، حالة دائمة من الابتسام المرح ، سألته بلا حرج .

- صحيح ما سمعته عنك .

أجاب وهو يعجب لابتسامتها متسائلا كم بها من مرح وأنوثة وكم بها من جرأة ومكر .

- خير إن شاء الله .

قالت وعيناها تبتسمان :

- إنك تزوجت بقرار جمهورى .

قال بسرعة مداعبا :

- وأصبحت "أرمل" بقرار جمهورى ..

قالت وصوتها الجاد لا يحجب ابتسامتها :

- أعـرف .

فهمـس :

- نعم .. ماتت بعده بشهرين .

دعته إلى الشاى فى بيتها . صحفية تشق طريقها إلى سماء الشهرة عاشت مع عمتها بعد موت أبويها ثم قررت أن تعيش وحدها . قالت لعمتها عودى إلى بيتك ، عودى إلى بلدك ، سأتحمل الحياة وحدى فى هذا البلد الذى يطارد المرأة التى تعيش وحدها . كانت قادرة حتى الآن على حماية نفسها . اسمها فى الصحافة منحها نفوذا . وهى تريد أن تكتب عن تاريخ حياة الزعيم . أهم ما تريده الآن هو التفاصيل الصغيرة ، حتى لو بدا أنها بعيدة عن السياسة ولا علاقة لها بالثورة . مثلا . عرفت أنه كان يلعب الشطرنج معه . عرفت أنه كان شاهدا فى عقد زواجه .

قاطعها :

- لا .. لا .. لم يشهد عقد زواجى .. الحكاية غير ذلك ..

ثم أضـاف :

- بل هى أغرب من ذلك .

استمعت إليه وهما يشربان الشاى ، واستمعت إليه سائرين بين أشجار وحقول ، تتوقف أمام عباد الشمس والبوجونيا الصفراء وهايبسكوس الحمراء ودقن الباشا والأكواخ المغطاة بالقرنفل . تهتف منتشية .. كل هذه الزهور أولادى . ثم تعاود السؤال والاستماع إلى حكايته .

قال لها إن الأمر لا يعدو علاقة عابرة مع ضابط يلعب الشطرنج ، جمع بينهما جار للضابط ، كان زميلا له فى كلية الحقوق . هذا الجار دخل سلك النيابة والقضاء ، أما هو فقد ظل منذ تخرجه محاميا . انقطعت صلته تقريبا بالضابط الذى قاد الثورة . ثم جاء يوم واتصل لطفى القاضى به . قال له إن الضابط الذى يقود الثورة من مكتب رئيس الجمهورية محمد نجيب ، تذكره بمناسبة مشكلة وقعت فيها سيدة هى زوجة لأحد الضباط الذين كانوا معه فى الفالوجة . سأل لطفى أن يقابلها ويقدم لها المشورة التى تطلبها لفض الخلاف بينها وبين زوجها . فقال له لطفى . إنه لا يريد أن يضع نفسه موضع حرج لأنه قاض . وعندئذ تذكر وقال للطفى :

- ما رأيك .. صاحبنا الذى كان يلعب معى الشطرنج فى بيتك . عندما سمع لطفى يخبره بأنه يطلب منه النظر فى شكوى تلك الزوجة . شعر وكأن الثورة هى التى تطلب منه . وعندما قابل الزوجة واستمع إلى شكواها من زوجها الذى لا يفارق موائد القمار وإلحاحها فى طلب الطلاق . شعر أن من واجبه أن يقود ثورة الزوجة إلى نهايتها الناجحة .

سألته وهى تشير إلى حوض زهور البانسيه يحوم نحل له طنين فوقه :

- أنت محام يساعد زوجة تطلب الطلاق .. ما علاقة ذلك بالثورة ..

قـال بسرعة :

- أردت أن أقوم بدور الفارس الشهم . تصديت لمهمة إنقاذ امرأة فى محنة لاشك أنى كنت أقلده وأنا لا أدرى .. أريد أن أنصرف مثله .. كنت أقوم بثورة صغيرة أعرف أنه مهتم .

وفجأة خطر له وهو يتحدث خاطر غريب فقال وهو فى دهشة مما يقوله :

- ربما نظرت إلى طلبه كما لو كان يلعب معى مباراة شطرنج أرسل لى مع لطفى نقلة على رقعة الشطرنج فأردت أن أجيب عنها بنقلة أتفوق بها عليه.

ضحكت وهى تكاد ترقص . وهتفت :

- هـذا جنون ..

ثم أضافـت :

- أتدرى .. أنى أصدقك ـ لكن أحدا لن يصدق هذا الذى تقوله .

قال كمن يعتذر عن أفكاره :

- أردت أن أفوز عليه .. حماقة منى .. إنه جبار .. الاقتراب منه يستفز طاقات الإنسان .. استفزنا جميعا .

وسألتـه :

- كيف صدر القرار الجمهورى بالزواج ؟

حكى لها عن تلك الليلة التى جاء فيها ضابط يدق بابه فى منتصف الليل ، وحمله إلى معسكر فى الصحراء ، وهو لا يدرى ما سوف يحدث له . حتى وجد نفسه واقفا امامه . طلب منه أن يجلس ، وقدم له الشاى . كان يعرف كل شيء . انتهى الطلاق ، وقد أصبح فى نظرها محررها من الظلم والعبودية ، وأصبح فى نظر نفسه البطل المنقذ .

سمعه يقول له :

- تعرف أن زوجها الذى طلقها .. كان معى فى الفالوجة ..

استمع صامتا . بينما ارتفع صوته المعدنى وعيناه مسماران من الصلب ينفذان فى رأسه .

- سمع بأن بينكما علاقة .. جاء يهدد باختطافكما وقتلكما فى جبل المقطم .. يريد أن يحصل على موافقتى .

هاهو يقول له كش مات حقيقية . على أرض الواقع . لا يجد ما يقوله . لا يجد هواء يتنفسه ، الفزع يسرى فى أطرافه وفى رموش عينيه . لكنه سمع صوته المعدنى :



www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

ـ ليس من حق أحد أن يعترض على زواج حلال .

كان يحلم بمصر ويثور من أجلها . وهو يحلم بعلاقة تنتهي إلى زواج . لم يشهد الزواج ، ولم يوقع على الوثيقة . لكن الحادث جذب انتباه كثيرين إليه . ضباط انتقلوا إلى مناصب كبرى في الشركات المؤممة كانوا يذكرونه ، ويرحبون بأن يتولى مكتبه قضايا شركاتهم .

سألته وهى تمسك بذراعه فى لهفة :

ـ جمعت ثروة كبيرة فى أيامه .

أجاب ساخرا :

ـ الثروة جاءت بعد موته .. تدفق المال من العالم العربى .. المحامى الذى كان صديقه الحميم . المحامى الذى كان يلعب معه الشطرنج .. المحامى الذى كان الزعيم حماه ـ وشاهدا فى عقد زواج قريبته .. حكايات وشائعات ..

كانت تستمع .. وتبالغ فى أهمية هذه القصص الصغيرة فى الكشف عن شخصية الزعيم .. وكان يقترب منها كأنها تفتح له ذراعيها وتحتضنه . حتى كان ذلك اليوم يأكلان السمك فى الإسكندرية .

وطلبت منه أن يقف بسيارته عند مشتل للزهور داخل حدائق قصر المنتزه .

سارت معه تهتف منتشية :

ـ هذه الزهور أولادى .

كان مابينهما قد وصل إلى حافة العلاقة التى تربط بين رجل وامرأة ، كثرت لقاءاتهما وأحاديثهما ومسامراتهما . فسألها بوقاحة من قرر الهجوم ؟

ـ ألم تفكرى أن يكون لك أولاد ؟!

كان واثقا أنها فكرت وكان واثقا أنها سوف تنفي أنها فكرت في أن يكون لها أولاد . قالت :

ـ هذه الزهور هى عائلتى .

لم تفلح ابتسامتها فى حجب نبرة خجل فى صوتها . انتابته رعدة . كان

فى صوتها وفى عينيها حنين جارف إلى الطبيعة . أمسك بيدها وضغط عليها والتقت النظرات بينهما حديث لا تعبر عنه كلمات فلما عادا إلى السيارة احتضنها وقبلها فى خدها . وشعر أن اللقاء بينهما يخرجها من عزلة تحاصرها . يسألها :

- ما الذى عزلك عن الناس ؟

تجيب ساخرة :

- أين الناس ؟

وتنظر إليه كأنها تقول له . أنت كل الناس وأحيانا تمسك بيده وتهمس . أليس جميلا أن يكون لقاء الحب على رمال صحراء ، أليس جميلا رائعا أن يكون الحب ونحن نسبح كالسمك فى الماء . أليس جميلا أن نلتقى على هذه الأرض فى حقل من تراب أو طين .. جسدان يلتقيان .. معناه اندماج مع الطبيعة .. هذا هو امتحان صدق اللقاء . هذا هو المعنى الحقيقى للحياة . اندمجت فى الطبيعة لتحيا كالأشجار السامقة تطمئن إليها ، ولكنها قلقة مع ذبول كل زهرة وسقوط كل ورقة شجر . تجد ذاتها مع كل زهرة جديدة ، وتبحث دائما عن أوراق وزهور تبحث فى قارس الشتاء . فى نباتات الظل ونباتات الجدران .. عنيدة .. اخترت ألا يكون لى أولاد ، لأنى لم أجد ما أحلم به .. الثمن فادح .. ضاع الوقت الذى اطمئن به وأغامر بإنجاب أولاد لو كان صاحبك ظل حيا . لو كان انتصر .. لو .. لو ..

خطر له أن يسألها هل تقبل أن تظل عانسا ، فإذا بها تجيب عن الخاطر الذى لم ينبس به :

- إما أن أظل عانساً أو ..

وضحكت وضربته فى صدره بلكمة قوية وهتفت :

- أو أتزوجك .

ثم أردفت ضاحكة فى عصبية :

- بلا أولاد .

قال مرتبكا :

- تقصدين ..

قالت تقاطعه قبل أن يكمل سؤاله ، وفى عينيها لمعة ذكاء :

- نعم - أنا - وأنت .

ولاحظت أنه يفكر مرتبكا ، فأسرعت تقول :

- فرصتك فى البقاء بعد أن مات صاحبك .. هى أن تتبعنى ..

سألها متحديا :

- اتبعك لماذا . لأى هدف .

قبلت التحدى وقالت :

- إلى حيث أريد - فهذه هى أيامى .. وسوف أنقذك من تاريخك .

- كيـف ؟

قالت فى حماس :

- أية وسيلة .. حتى لو فكرت معك فى سرقة بنك ..

هكذا كانت بداية الأفكار والمداعبات التى تطورت إلى ماهو فيه الآن . كأنها تتنبأ .. أو تعرف كيف تخطط .. طالما شعر بالحيرة وهو يشاهد عربات المرسيدس الفاخرة تجوب شوارع مصر وطرقاتها وحواريها .. سيارات بمئات الألوف كيف امتلكها أصحابها ، حقا إنه ينتمى إلى زمان لا يعرف كيف يصل إلى الثراء بهذه السرعة والسهولة . لكنها ليست شريرة - ابتسامتها طيبة ومرحها لا علاقة له بالسرقة .. ورغم ذلك هاهو قد تورط حتى أذنيه .. يكفى أن يصل إلى لوجانو ويفتضح أمرهما لتثور ضجة لا نهاية لها .. تقول إنها سوف تكون زوبعة فى فنجان . مستحيل سوف ينتقمون سوف يطاردونه . مع ذلك هى مطمئنة .

انتبه إلى مفتش التذاكر يقف على رأسه . صوته حازم محتدم .

- مازلت هنـا ؟!

ماذا يريد هذا المفتش . ماذا حدث للقطار . إنه معتم والمقاعد خالية .

كان وجه المفتش شديد الغباء . وكان يصرخ بلهجة آلية كما لو كان فى فمه جهاز تسجيل يردد .

- على جميع الركاب النزول فورا ..

همس فى انفعال منكرا ما يسمعه :

- لكنك تعرف انى لم أصل بعد ..

صاح المفتش :

ـ ياسيدى .. ياحاج .. هذا القطار ذاهب الآن إلى ورشة الصيانة .

ممنوع منعا باتا بقاء الركاب داخل العربات .

نظر إلى المفتش فى غير فهم لا يجد تفسيرا معقولا لما يسمعه .. وكان المفتش يزعق .

ـ أنت تعرف هذه الأيام .. الحراسة فى كل مكان .. ربنا يستر .. وتلفت المفتش من حوله كما لو كان يصد أشباحا مفزعة .

قال مدافعا عن نفسه :

ـ اطمئن لست من إياهم .. لا أحمل معى قنابل أو متفجرات .

وتذكر الأوراق التى فى جيبه داخل السترة الملقاة على المقعد أمامه . أوراق قد يبحث عنها الانتربول يوما ما . إنها ليست قنابل ولن يفهمها من يعثر عليها .. لكن أين يذهب بها الآن .

صاح فى المفتش :

ـ أين نحـن ..؟

قال المفتش وكان يبتعد :

ـ سوف أبلغ عنك الشرطة .. لست مسئولا عما يحدث ..

نظر إليه غاضبا . فليذهب هذا المفتش إلى الجحيم .. لن يترك العربة قبل أن يطمئن إلى المكان الذى يقف فيه القطار .. وخطر له .. أن عصابة إرهابية قد حاصرت القطار .. هذا هو التفسير الأقرب إلى العقل . وفجأة انتبه إلى وجه يرقبه فى نهاية العربة . رجل له وجه فأر .

الفصل الثالث

وجه الفأر حاد النظرات ، لا يحولها عنه ، هذا الرجل يتبعه من الفندق ، الفأر الذى فى وجهه هو انعكاس للفأر الذى يلعب فى صدره ، عندما تبدأ المطاردة فالنهاية معروفة ، العينان مصوبتان إليه ، بعد قليل سوف تتحول إلى قيود من حديد فى اليدين والقدمين ، النظرات تتصادم ، لابد أن يتحداه ، لو جاءوا بكل رجال الشرطة ومعهم رؤساؤهم ، لو جاءوا بالعفاريت والجان ، لن يحول نظراته ، لن يتراجع أمام نظرات وجه الفأر ، وقد أوشك تصادم النظرات أن يشعل حريقاً ، عينان تثقبان رأسه وتدقان سرداباً فى خلايا مخه الذى يعشش فيه الخوف ، سوف يصل إليها وأوراق إيداعات الملايين فى جيب جثته الهامدة ، ماذا يقول فى التحقيق ، ماذا يقول أمام لطفى الجالس على منصة القضاء ، لكن أيام لطفى انتهت ، وزملاؤه القضاة خرجوا مطرودين من مناصبهم ، واستقال لطفى احتجاجاً ، وذهب ليقابل صديقه يرجوه أن يعيد النظر فى أمر عزلهم ، رفض بكلام حاسم ، إنهم ضد الثورة ، وتقارير المخابرات تدينهم سياسياً وأخلاقياً ، رفض لطفى الحكم بإدانة القضاء اعتماداً على تقارير مباحث ومخابرات ، قال لطفى متوسلاً إنه لا يستطيع البقاء فى القضاء لأنه أصبح مداناً بالتحيز للسلطة ، ينظرون إليه كمرتش يتجاهل ضميره وينفذ أوامر السلطة ، سجان السلطة ، جلاد السلطة ، استمع الصديق إليه مطرقاً ، ثم قال فى هدوء قاتل إنه اقتنع بكلامه ، ولذلك سوف يعزله هو الآخر من القضاء ،

ويصدر قراراً بتعيينه محافظاً للإسكندرية ، عندما جاء لطفى يزوره فى مكتب المحاماة ، كان يسأله إذا كان يقبل المساهمة فى الدعوى التى رفعها المستشارون والقضاة لإلغاء قرار العزل ، قال له لطفى ساخراً ، إن مباريات الشطرنج القديمة تتطور ، والبيادق والأفيال والفرسان تحولوا إلى مستشارين وقضاة ، وبعد يوم دخل مكتب المحاماة مستشار النقض الذى كان يجلس على المنصة كما لو كان يملك سلطات القضاء والقدر ، كانت فى يده أوراق ، تبين أنها منشور ، قرأه فارتجفت يده ، عينا المستشار مصوبتان فى عينيه .

- ما رأيك ؟!

- منشور خطير .

قال المستشار :

- أرجو أن توزعه .. هل تذهب معى إلى الصحف نطلب نشره .

وذهبا وقابلا رؤساء التحرير ، والمستشار يخطب ويتشنج ويصعد الدم إلى رأسه يوشك أن ينفجر هاتفاً فى رؤساء التحرير ، إذا لم تستطيعوا نشر كلامنا فقدموا استقالتكم .. واستمعا إلى كلمات بعد كلمات ، المصلحة القومية ، الوطن الذى تهدده إسرائيل .. مصلحة الفقراء .. والمستشار يزعق وقد نفرت عروق رقبته .

- هذا كلام فى كلام .. الوطن كلام .. إسرائيل كلام .. العمال والفلاحون كلام ..

ودق الرجل بيده على مكتب رئيس تحرير صحيفة الثورة صارخاً :

- الذى ليس كلاماً بل أفعالا .. هو حماية القضاء .. لا أكون جالساً فى كرسى القضاء أصدر الأحكام ثم تخلعنى سلطة ظالمة وتعزلنى .. تقول لى اخرج إلى الشارع .. لم يعد هناك ضمان لأحد .. لم يعد لك ياأستاذ يارئيس التحرير أنت شخصياً أى ضمان .. هناك سلطة تستطيع أن تطيح بك فى أى وقت .. أنت وأهلك .. لمجرد نزوة .

كلما تذكر وجه المستشار شعر بانقباض فى صدره .. فى صباح اليوم التالى جاءت السيارة التى تذهب به إليه .. كان جالساً فى الحديقة .. قال له باسماً إن لديه بعض الوقت ليلعب معه طابق شطرنج ..

كان واثقاً أنه لن يلعب الشطرنج ، فلم يدهش عندما دخلا البيت وجلسا في قاعة المكتب ، وهو يحدثه عن فيلم أمريكى شاهده بالأمس ويقول معلقاً إن الأشرار فى أفلام رعاة البقر يجرعون كئوس الويسكى ويبصقون ويقولون للبطل .. شكلك لا يعجبنى .. ثم يرفع الشرير مسدسه ، يريد قتل البطل بطلقة تسقطه مجندلاً .. لكن البطل يكون أسرع وينتصر على الشرير ، لأن المعركة بين الخير والشر .. ولابد أن ينتصر العدل .. فجأة قال له :

ـ هل تظن أنى طردت صاحبك المستشار لأن ذقنه لا تعجبنى .. لقد استمعت إلى تسجيلات بصوته .. إنه ضد تشريعات البلد .. ضد الدستور .. ثم أضاف :

ـ صدقنى .. إن أحداً لا يطيقه .. حتى زوجته فى بيته ..

وسكت قبل أن يسأل بصوته المعدنى :

ـ ما رأيك .. أنت ؟

كان مهموماً بالحصار المفروض عليه .. إنه يعلم أن كل صغيرة وكبيرة .. كل همسة تصل إليه .. إنه يحب التفاصيل . حتى المملة .. ماذا يقول له ؟

قــال :

ـ بصراحة .. ليست لدى المعلومات التى لديك ..

فاجأه بصوت قوى عتيد :

ـ لا أريد منك أن تتدخل فى هذه القضية .. إنهم يخدعونك .

وأضاف وعيناه مسماران يدقان فى عينيه :

ـ أقول هذا .. لأنى أريد أن أحافظ على ما بيننا .. ولأنى مطمئن إلى أن قرارى عادل .. وضرورى لضمان أمن واستقرار الثورة .

عندما خرج من عنده .. انتابته تلك الحالة الغريبة التى تلازمه منذ صباه .. أراد أن يتشقلب .. يضع رأسه على الأرض ويدور دورة كاملة بجسده فى الهواء ، العلاج الذى اكتشفه منذ طفولته للتخلص من مواقف لا يفهمها أو يشعر أنها أكبر منه .. ربما كانت شقلبته الأولى فى طفولة مبكرة لا يتذكرها ، دخل عليه أبوه فجأة فتشقلب ، لكن الشقلبة أصبحت

هواية ينشرح لها صدره وهو يمارسها فى حوش المدرسة ..

أما وهو طالب فى كلية الحقوق فقد أثار فزع الحاضرين فى قاعة المطالعة بمكتبة جامعة القاهرة ، كان يقرأ أصول الحكم للشيخ على عبدالرازق ، وقرأ الاتهامات الموجهة إليه ، وشعر بفوران فى رأسه واختلطت مشاعره ، وصاح صوت غير مسموع يدوى فى نافوخه : أين العدل ؟.. ماهو العدل ؟.. هل هناك شىء اسمه العدل ؟.. ولا يدرى إلا وهو يتشقلب ، يتحرر من كل الضغوط فى رأسه ، يصنع شيئا ما لا يدرى ما هو ، يريد أن يكون ، ولا يعرف ما الذى يريده ، فزعوا .. ثم ضحكوا .. ثم فسروا الأمر بأنه تراجع بمسند مقعده فوقع ، وارتاح معهم إلى تفسير ماهو غامض بأمر يقبله الواقع العادى الذى تعارف عليه الناس ، عندما خرج من عنده ذهب إلى الفندق فى ميدان التحرير ، ترك سيارته فى موقف السيارات ، وقبل أن ينتبه إلى ما يفعله كان قد دار فى الهواء دورته ، ولم ينتبه أحد ، سار الناس كما يسيرون ، والسيارات والأتوبيسات مضت فى حركتها ، وإذا كان قد رآه أحد فلم يصدر عنه شىء . ربما ظن أنه مجنون أو سكران سقط وهو فى طريقه إلى داخل الفندق ، عندما قابله لطفى فى فندق ناشيونال كان لا يزال فى أوجه متربعاً على منصة القضاء ، متربعاً على منصة الصداقة مع الزعيم ، همس لطفى له أن قرار تأميم قناة السويس سوف يعلنه صديقه اليوم مساء ، إنه سر لا يعلم به أحد ، لكنه عرف السر منه شخصياً ، أراد أن يعرف شعوره ، ثم حدث أن سأل لطفى عن رأى صديقه المحامى لاعب الشطرنج ، قال عنه إنه يمثل الأغلبية الصامتة ، وغالبا ما يكون تعبيره عن مشاعره بالفطرة الخالية من أية مصلحة خاصة ، كان الخبر الذى يهمس به لطفى مستفزا ، فانتابته تلك الرغبة القوية فى الشقلبة ، ولم ينتظر ، هبط برأسه على الأرض وتشقلب ودار دورة سريعة وعاد إلى مقعده ، ولم ينتبه أحد ، بينما استولى الفزع على لطفى الذى صرخ هامسا : يامجنون .

ثم أردف وهو ينظر إليه غير مصدق ما رآه :

ـ ماذا أقول له . هو يخاطر بحياته ويؤمم قناة السويس ليواجه أساطيل العالم ، ويكون رد الفعل .. هو الشقلبة .. قال له وهو يسترد أنفاسه :

ـ قل له إن المحامى .. فعل الشىء الذى يملكه .. هذه هى فطرته .



www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

وكان البهو المزدحم كما هو ، لم يتوقع أحد أن الشاب الوقور الجالس على مقعد جلدى وثير سوف يتشقلب ، لذلك لا يبدو أن أحداً رآه ، فالذى كان يقرأ صحيفته ظل يقرؤها ، والسيدات والبنات اللاتى يثرثرن لم تنقطع ثرثرتهن ، لم يحدث شىء على الإطلاق ، تشقلب رداً على قرار شقلب تاريخ مصر ، لو قبضوا عليه وحاكموه سوف يقف فى المحكمة أمام القضاة ، ويطلب بصفته محامياً أن يترافع عن نفسه ، ويتقدم إلى المنصة ، ويتشقلب أمامها ، دورة كاملة أو دورتين .. ويقول لهم : أيها المستشارون أطلب من عدالتكم أن تفحصوا هذه الشقلبة بكل عناية وأمانة ، فهى الوثيقة التى أملكها لأبرر بها موقفى .. وأنا واثق من عدالتكم ، سوف تصدرون قراركم على الفور بالإفراج عنى ، والسماح لى بالسفر إليها ، لنذهب معا إلى سويسرا ثم الأرجنتين .. ربما هاواى ونتمتع بالحياة .

كان يروى لها عن تاريخه فى الشقلبة ، فسألته لتسجل فى كتابها : هل حدث وتشقلب أمامه ؟ وضايقها أنه لم يفعل ، ولم يفكر فى أية لحظة وهو معه أن يتشقلب ، لكن فى بعض المرات القليلة التى كان يقابله فيها كانت تنتابه الرغبة فى الشقلبة بعد أن يتركه ، وكانت نوبة جارفة قد تملكته فى الشقلبة بعد حادثة عاملة المانيكير ، إنها الواقعة التى سوف تسجلها فى كتابها رغم تفاهتها الشديدة ، لكنها تعتبرها واحدة من انتصاراتها الكبرى فى الكشف عن شخصية ذلك الزعيم الذى أحدث تغييرا فى مجرى تاريخ العالم ، وكثيرا ما تلوح له بأصابعها بعد أن تفرغ من طلائها ، كل إصبع بلون ، أحمر وبنفسجى وذهبى وأزرق وتهتف ساخرة :

- ألم يصدر قرار جمهورى يمنعك من العناية بأظافرك ؟!

يقول لها فى ارتباك :

- كان يدافع عنى .. عن سمعتى ..

فتصيـح :

- أنت الوحيد الذى يستطيع أن يدافع عن سمعته ..

كان الحلاق الذى يتردد على دكانه قد أحضر عاملة مانيكير لتعتنى بأظافر الزبائن وتزيل الجلد الزائد والجلد الميت .. وسمح لعاملة المانيكير أن تمارس عملها فى أظافره ، خطر له أن يجرب ، ثقافته كانت رؤية وتجربة

وتقليداً ، أغلبها خيالات ، بعضها صنعته أفلام السينما ، وبعضها تقليد لما يراه فى بيوت الأغنياء ، ثم كان تأثير هذا الضابط الذى يلعب الشطرنج ، يتحول إلى بطل ثائر ينتصر للناس ، ويؤكد أنه عندما يتحدث عن عمال التراحيل الذين يأكلون البصل والمش والبتاو ، ليس مجرد ثرثار يضيع وقته فى الكلام ، ليس مجرد حالم يتمتع برفاهية الأحلام ، غامر بحياته ليحقق ما يحلم به ، عندما ابتسمت له عاملة المانيكير تلح عليه ، تتوسل إليه أن يمد يده لتعتنى بها ، نظر فى عينيها ، وسأل نفسه : هل لديه الجرأة ليجرب ؟ ولأنه ربط قراره بالجرأة ، ولأنه امتحن نفسه بنفسه ، مد يده وترك لخياله العنان ، إنه ممثل مشهور فى فيلم غرامى تصوره هوليوود فى باريس ، إنه كازانوفا أو دون جوان ، روبرت تايلور أو كارى جرانت ، ولم يخطر بباله أن هذه الخلجات التى لم تخرج فى صوت أو حركة خارج نفسه تنتهى إلى أن تأتى السيارة المعهودة ، بها الضابط الذى قاده إليه ، وكان يتوقع أنه يريد أن يستريح من بعض مشاغله ، ويستمع إلى ما يقوله عن أحوال الناس العاديين ، الزبال ، الكواء ، حاجب المحكمة ، بائع الفاكهة الصعيدى الذى ظهر فجأة ومعه قفص برتقال عند ناصية الشارع . لكن كان هناك احتمال أن يطلب أن يلعب معه ، وكان يسأل نفسه : هل يستطيع أن يفوز عليه لو أراد ؟ أم أن هذا الضابط لم يعد ضابطاً ، وأصبحت له هيبة ووقار وجبروت ؟ وهى عوامل تكفل لصاحبها الانتصار فى أية معركة .. دخل عليه فاستقبله ساخراً لاذعا وشخط مهدداً بلا تمهيد قائلاً : إنه لا يقبل أن يكون الذى يلعب معه الشطرنج لعبة الفروسية والصراع ، من أشباه الرجال ، كانت الكلمة جارحة ، ولم ينتظر منه كلمة ، قال إنه تصرف وأصدر أوامره ، ثم صرفه وهو يضحك ويعده بلقاء آخر ، حاول أن يفتح فمه ليسأله ما الذى فعله حتى يغضبه ، لماذا استدعاه وتجشم كل هذا العناء ، لكنه رفض أن يتحدث ، أدار له ظهره ، بعد أن أمره بالانصراف ، واكتشف الأمر عندما ذهب إلى الحلاق الذى استقبله مهللاً منتشياً ، قال له فى حماس وانفعال : إنهم جاءوا . قالها كما لو كانوا فرقة من الجن أو العفاريت ، وطلبوا منه طرد عاملة المانيكير ، كان الحلاق فرحاً باهتمامهم ، لا يكاد يصدق أنه كان السبب فى أزمة هددت مستقبل زبون هام ، وأرسل له الرجل الكبير الرسل تصدر الأوامر بالتهديد والوعيد .. كان حادثا صغيراً ، لكنه اهتز له ، صرخ غاضباً فى الحلاق .

ـ هل أمرك أحد بطرد عاملة المانيكير ؟

أجاب الرجل بسرعة :
ـ نعـم .

فأمسك بذراعه بقوة وسأله :
ـ من الذى أمرك ..؟

عندئذ تردد الحلاق ، وعاد يقول : إن الذى جاء كان يحلق ، وهو ضابط كبير ، وسأله إذا كانت عاملة المانيكير تتولى العناية بأظافر الأستاذ المحامى ، وقال له إن الخبر وصل إلى الرجل الكبير ، فغضب ، وقال إنه كان لا يتصور أنك تقبل أن تمد يدك لعاملة مانيكير .. ماذا يقول الناس عنه وهو يتصرف كالنساء .. وقال له الضابط : إنه سوف يقول ذلك للحلاق لتبتعد عاملة المانيكير عنه .. فقال له الرجل الكبير ضاحكاً :
ـ أحسـن ..

وأعتبر الحلاق أن ما سمعه أمر بطرد عاملة المانيكير ..

صـاح :
ـ تطرد المسكينة ، ما ذنبها ؟!

قال الحلاق فى إصرار :
ـ بصراحة .. أنا أتمنى اليوم الذى يطلبنى فيه لأحلق له شعره .. ومادامت هذه هى طباعه .. فلن تدخل عاملة مانيكير صالون حلاقة للرجال ..

قالت له إنه كان لابد أن يدافع عن عاملة المانيكير لأنها مظلومة .. قالت له وهى تلوح بأصابعها الملونة بالمانيكير .. تخاذلت ، لم تقف إلى جانب فتاة فقدت عملها من أجل طموح حلاق ، وطبيعة حاكم صعيدى .. الآن تغير كل هذا .. لديه الجرأة لاتخاذ القرار ، انتهى الماضى ، انتهى زواج الفارس النبيل ، انتهى عهد الممثل الذى زعم أنه إنسان نبيل ، ولديه الآن من الذكريات والتجارب والوثائق ، ما يبرر له أن يقدم على ما يفعله وهو مرتاح الضمير .. أليست هذه هى الحقيقة ، قالها صرخة تدوى فى صدره .

رأى صاحب وجه الفأر ، ينهض واقفاً مازال ينظر فى عينيه ، لقد تاه عنه بذكرياته ولم يصمد لنظراته ، لكن مهما طالت الذكريات ، فسيظل الرجل يتبعه ، يطارده .. هذه الوقفة تنبىء بخطر .. حاول أن ينجو منه فيتذكر وجهها الضاحك يسعفه فى حالة يأس توشك أن تطبق عليه ، هى التى دفعته إلى هذا القطار .. هل كانت تعلم أن الرجل يطارده ، هل تتآمر عليه ، تريد أن تكتب فصلاً مثيراً فى كتابها عن الرجل الذى لعب الشطرنج معه ، ولابد أن يدافع عن نفسه إذا تقدم منه هذا الفأر فسوف يركله بحذائه بكل قوة فى محاولة بائسة مستميتة ، وقد ينجح أو يتلقى الضربة التى تقضى عليه وتنتهى حكايته بنهايتها المحتومة ، كان الرجل يتقدم ، وانتفض فزعاً على قط أسود يخرج من بين قدميه قافزاً فى اتجاه الفأر ..

الفصــل الرابــع

اصطدمت القطة بقدمى وجه الفأر ، وقفزت ثم تقهقرت مندفعة إلى عربة أخرى فى القطار ، ووجه الفأر يتقدم ، وقد ابتسمت عيناه فيهما ذكاء وحدة ، أطبق الرجل وقد تهلل صوته :

ـ رأيتك فعرفتك .. كان من الضرورى أن أتقدم لتحيتك .. إعجابى بك ياأستاذ بلا حدود .. أخيراً تشجعت واقتحمت خلوتك .

كلام لا معنى له . يكذب بلا حياء . إنه يتبعه منذ كان فى الفندق . مطاردة مكشوفة . هل أرسله أصحاب المال . من أخبرهم . هناك أمر غامض لابد أن ينجلى .

قال وصوته يخرج بصعوبة ، وهو يتفحص ملامح الفأر فى وجه الرجل :

ـ أشكر لك .. لكن لماذا تتبعنى ..

قاطعه الرجل فى حماس :

ـ سيدى .. أنت افضلهم جميعا ..

قال فى دهشة :

ـ لا أفهـم .

فاستمر وجه الفأر يتكلم :

ـ أنت الذى رفض أن يتاجر بعلاقته معه ، لم تكتب المذكرات . قرأت إجاباتك .. كنت شديد التواضع .. والآن أنت شديد الصدق .

ثم أضاف بلهجة جادة وقورة :

ـ أنت الممثل الأول .. نعم تفوقت عليهم جميعا .

أدهشته كلمة ممثل ، فقال بسرعة يصحح الخطأ :

ـ ممثل .. لست ممثلا .

فاستأنف الرجل متجاهلاً ما يسمعه :

ـ بل سيدهم .. أروعهم تمثيلاً ..

اعترض .. فالرجل يستفزه أو يسخر منه .. لعله يريد أن يشتبك معه ، ويستدرجه فى شجار .. أرسلوه ليحتك به فى هذه العربة الخالية ، ويقتله ويأخذ الأوراق من جيبه .

زعق فى وجه الفأر :

ـ من الذى أرسلك لتتحدث معى بهذه الوقاحة .

لم يهتز الرجل وقال فى ثقة :

ـ لا تنكر أنك بطل التراجيديا والكوميديا .. هل يخفى القمر .. هل أنسى دورك فى مسرحية الفارس النبيل .

هتف فى ذهول لا يصدق ما يسمعه :

ـ لا أفهم .. هذا جنون .. خلط وقح وسفاهة .

فجلس وجه الفأر قبالته ، وقال بصوت باسم :

ـ لا خلط ولا يحزنون .. هل نسيت الشقلبة .. إنها تضاف إلى مواهبك .. فأنت أيضا مهرج وبلياتشو ..

صـرخ :

ـ اخرس .. أنا محام ، وسوف أجعلك تندم أنت ومن أرسلك .

قال الرجل فى هدوء وبلهجة اعتذار :

ـ ما كنت أعرف أنك متنكر فى رحلتك هذه .

وتلفت الرجل حوله هامساً :

- على أية حال لم يسمعنى أحد .. نحن وحدنا .. اطمئن ..

استمع إلى وجه الفأر ، والذهول يخيم على رأسه منذ سمع كلمة شقلبة .. ما الذى يعرفه هذا الرجل .. ما الذى يعنيه .. ذكر الشقلبة عمدا .. يريد أن يلمح لأمر ما .. يريد أن يؤذيه .

وكان وجه الفأر يقول :

- هل تتوقع ياسيدى أن يذكرك أحد .. إلا كممثل كبير .. استطاع أن يؤدى أحسن أدواره أمام زعيم تاريخى .. إنك الممثل الكامل الشامل .. تمثيل ورقص وغناء ومنولوجات .

قال وقد غلبه اليأس مكملا :

- ولا تنس الحاوى والأكروبات .

وتوقف وقد شعر بغصة فى حلقه وهو يوقف كلمات .. وسارق ودائع وبنوك .. ومعى أوراق لتحويلات بخمسين مليونا .. وتنتظرنى من تأخذنى بين أحضانها فى جنات الأرض .. أما هو فقد مات ، وزوجتى ماتت .

وتوقفت أنفاسه فقد خيل إليه أن وجه الفأر يسترق السمع إلى خواطره التى تدور فى رأسه ولا تخرج من فمه ، وإذا بالرجل يقول له :

- استطيع أن أقنعك .. لا عيب فى أن تكون ممثلا ..

قال معترضا :

- لا أريد أن أستمع إليك .. اتركنى فى حالى !

فقال وجه الفأر فى إصرار .. وكأنه يصدر أمرا لا مفر من الإذعان له :

- بل تسمعنى .. كما استمعت إلى السادات .

همس :

- أنا .. كيف ..؟

وانطلق وجه الفأر يروى ما يعرفه :

- لن تنكر أنه أمر باستدعائك .. فلما دخلت عليه كانت صورة الذى مات فوق رأسه ، وتمثاله على يمينه .. وكان السادات ينفث الدخان من الغليون فى فمه ، ويتحدث معك عن الصداقة والوفاء .. وسألك إذا كنت تريد شيئا خاصاً .. وقال لك إنه يعرف علاقتك به .. كيف كانت حميمة .. وكيف كان

يستمع إلى رأيك .. فتظاهرت بأن ما يقوله صحيح .. ولزمت الصمت فى وقار الممثل العظيم الذى هو أنت ، وفى قرارة نفسك تتساءل إذا ما كان السادات يبالغ فى تمثيلية مواصلة السير فى طريق الذى مات رافعا شعاراته عن الوفاء .. عندما خرج من مكتب السادات قابل فى نهاية الممر رئيس الوزراء الذى توقف وعانقه قائلاً باحتفاء :

ـ أهلاً .. ألف مبروك .. أرى أنك مازلت معنا فى اللعبة ..

قال لرئيس الوزراء وهو يفكر فى أن يتشقلب أمامه على البساط الأحمر فى الممر :

ـ لا أدرى إذا كانت لعبة أم تمثيلية ..

فاختفت ابتسامة رئيس الوزراء وقال بصوت بارد ناظرا فى اتجاه مكتب السادات :

ـ ألم يخبرك ؟

قـال :

ـ نعم .. لن يأمر بسحب القضايا المحولة إلى مكتبى من المؤسسات .

قال رئيس الوزراء وعيناه تلمعان فى خبث :

ـ إذن أنت معنا .. لعبة أو تمثيلية .. المهم أنك معنا .

وضع رئيس الوزراء يده على كتفه وقال :

ـ إيرادك من هذه القضايا .. ضعف مرتب رئيس الوزراء ..

أدرك أن رئيس الوزراء قرأ تقريراً عنه ، لعله نصح بسحب القضايا .. ثم اكتشف أن السادات لا يريد أن يقطع كل صلة بالماضى .. ربما أراد السادات أن يحافظ على مظهر صداقة قديمة بين محام ، وجاره الضابط الذى قاد ثورة .

قال السادات :

ـ الوفاء أهم شىء .. أعرف أنك لم تتورط معهم .. كنت صديقا وفيا .. وأنا يعجبنى هذا الوفاء .

بعد شهر سحبوا نصف القضايا ، وفى نهاية العام اختفت من مكتبه بقية قضايا المؤسسات ، وشركات القطاع العام ، وكانت الصحافة فى


حلمي التوني

www.library4arab.com/vb

لبنان والخليج وليبيا تتحدث عنه ، وهى تنبش ذكريات الذى رحل ، ونقلت أحاديث عن لطفى الذى كان محافظا للإسكندرية ثم اعتزل الحياة العامة ، لكنه يتحدث بين وقت وآخر عن صديقه الذى كان يلعب الشطرنج ، والذى يهتم بأصدقائه ، ويهتم بكل صغيرة أو كبيرة فى حياتهم ، سواء اعتزموا الزواج ، أو ترددوا على دكان حلاق ، ودار همس عن المحامى صديق الزعيم .

الآن يعلم أن وجه الفأر هذا على علاقة بجهة ما لديها المعلومات والسلطة ، إما أصحاب الملايين يتابعونه ويراقبونه حفاظا على أموالهم .. وإما المخابرات تتعقبه لأمر ما .. ربما تكون مخابرات أجنبية ، ربما تكون هى التى أرسلت وجه الفأر .. من يدرى .. أهى خديعة من الموساد .. لماذا يغلى رأسه ؟

انتبه إلى وجه الفأر يمد يده بمفكرة صغيرة غلافها من جلد أسود ، ومع المفكرة قلم ، وسأله :

ـ هل تشرفنى بكلمة .. وتوقيع ؟

أمسك بالمفكرة فى ذهول ، ثم همس :

ـ ما الذى تريده بالضبط ؟

قال وجه الفأر :

ـ لك أن تكتب ما تشاء .

قال بسرعة :

ـ وإذا لم أكتب ؟

قال الرجل :

ـ احتفظ بالمذكرة .. لأنى واثق أن لديك شيئا تستطيع أن تكتبه .. سوف يفيدنا جميعا .

وجه الفأر هذا مجنون ، لا يتخلى عن فكرة ثابتة ، لا ينفعل ولا يغضب ، أهو مجنون حقا أم هو قاتل جاء ليقتله بعد أن يتلاعب به على هذا النحو الشاذ .. لابد أن يواجهه .. صاح :

ـ من أنت .. ما الذى وراءك ؟

فنهض الرجل بسرعة قائلاً :

– ليس لى غرض .. جئت لأقدم لك التحية والإعجاب .. كل الممثلين يحبون أن تحييهم الجماهير .. لا أظن أنى أزعجتك .. وإذا كان هذا يضايقك فأعتذر لك .. اغفر لى خطأ غير مقصود .. كان فى تقديرى أنك فى حاجة إلى أن أتملقك .. اسمح لى بالانسحاب .!

وأدار وجه الفأر ظهره .. وعاد إلى مقعده السابق فى نهاية العربة .. وعاد يفكر فيها ، وفى الكتاب الذى تروى فيه تفاصيل حياة الزعيم وأسراره الشخصية ، إنها متحيزة ضد الزعامة ، تقول له وهى تطوقه بذراعيها .. لا تلتفت إلى الماضى ياحبيبى .. لا تلتفت إلى الوراء فتتحول إلى تمثال من ملح .. كل حكاياتك عن الماضى تؤكد أنك أسأت إلى نفسك .. عذبتها .. أفسدت حياتك بلا مبرر توهمت أنك تستطيع صناعة إنسان ، تغير أخلاقه ، تغير طباعه ، تغير ثقافته ، تغير مشاعره .. طلبت المستحيل .. الذى يريد التغيير يقوم به بإرادته .. ليس بإرادة أحد آخر .. ليس بإرادتك أو إرادة زعيمك .. وكانت تلوح له بأصابعها .. وقد فرغت من طلائها بالمانيكير . كل أصبع بلون .. أحمر وبنفسجى وذهبى وأزرق ثم تهتف ساخرة :

– هل كان يصدر قراراً جمهورياً يمنعنى من العناية بأظافرى .؟!

– ليدافع عن سمعتى كما دافع عن سمعتك .

كيف يدافع عن سمعته .. عندما ذهب إلى مبنى المؤسسة وجد ضابطا يعترض طريقه ، وإلى جواره ضابط آخر أمامه منضدة عليها دفتر ، وبجواره مسدس .

قال الضابط الأول :

– سيادتك ممنوع من الدخول .

قــال :

– كيف .. أنا المستشار القانونى .. قضايا المؤسسة فى مكتبى .؟!

قال الضابط :

– الأوامـر ..

عندما عاد إلى مكتبه كانوا قد فتشوا أدراجه واستولوا على ملفات القضايا .. هل يدافع عن سمعته فى السجن ..

قالت لـه :

ـ آه ياجبـان ..

وأردفت :

ـ لذلك .. أصبح مشروع البنك ضرورة ملحة ..

قال معترضا :

ـ مشروع البنك ينقذ سمعتى ثم يلوثها إلى الأبد ..

قالت بثقة وهى تغمره بقبلاتها :

ـ آه ياجبان .. بغير هذا المشروع لن تكون لك سمعة على الإطلاق .. ولن تنجو من رجال يقتحمون بيتك فى الفجر ، ويلقون بك فى غياهب السجن لمجرد أن تطمئن قلوبهم ، لمجرد أن يوفروا بعض الجهد ليتأكدوا إذا كنت مصدر خطر أم إنساناً بريئاً .. يكفى أن اسمك ارتبط باسمه فكما مات لابد أن تموت .. تختفى كما مات ، ماتت هى ايضا .. الدنيا تغيرت ، والرياسات تغيرت ، والنساء تغيرن .. ومازال كل شىء يتغير ويتبدل ، كما تتوالى الأعمدة والأشجار ، ثم تختفى الخضرة ليندفع القطار فى صحراء يمتد فيها طريق أسفلت عن يمينه يتلوى مع تلال الرمال ، أما اليسار فكان موحشاً والشمس قرص دماء تنزف حتى تغيب ، ومضى وقت قبل أن تظهر سيارة سوداء تسابق القطار ، كان واثقا من أن القطار سوف يسبقها ، وهو يتذكر سيارة السباق التى اشتراها مستعملة من إيطالى يهاجر من الاسكندرية بعد الاشتراكية والتأميمات .. خمسمائة جنيه دفعها ليسبق كل القطارات والسيارات ، فى بلد تتسابق فيه الحشود لتحمل سيارة الزعيم من القاهرة حتى دمشق .. عندما اندفع يسابق القطار صرخت بجواره ، واستولى عليه غضب خانق ، واستولى عليه عناد حياة أو موت ، لابد أن يسابق القطار .. هذه هى لغة الحياة .. لا تراجع ولا تخاذل ، وتجاهل صرخاتها وتجاهل شتائمها ولعناتها ، ولم يدرك انها وصلت إلى حالة هيستيريا حتى فتحت باب السيارة تريد أن تقفز منها .. تنتحر .. أوقف السيارة والقطار يختفى يسحب معه حتى عينيه وروحه .. ربما كان الأفضل أن يتركها تنتحر .. عندما رقدت على السرير وتساقط شعرها ، وضعفت أنفاسها فى صدر مبتور الثديين كان يتألم ، وفى قرارة نفسه سؤال يفزعه : هل تموت فيركب سيارته ويسابق القطارات بلا خوف أو

مضايقة ، ويزعجه أن السؤال يخطر بباله .. ويتعجب لأنه يسأل نفسه كيف يعرف الزعيم القرار المناسب فى الوقت المناسب ، ويدفع الثمن المناسب.

أيام الحب كانت أيام المناسبات .. هاهى الصحراء موحشة إلى اليسار ، والسيارة السوداء مازالت تحاول على اليمين ، والشمس تختفى ، وفجأة رأى باب السيارة ينفتح وجسد امرأة يندلق منها ، والسيارة تشق طريقها توشك أن تسبق القطار .. هاهى السيارة قريبة من نافذته .. هاهو السائق ينظر إليه ويلوح بيده باسما .. ثم أخرج لسانه .. ولوح بذراعه فى حركة بذيئة .. اندفعت السيارة بعدها تسبق القطار .. نهض قافزا .. هل هذا ممكن .. تخلص منها وأصبح "أرمل" فى لحظة .. هتف : مستحيل ، ورأى وجه الفأر يرقبه .. والقطار يتمهل كما لو كان يائسا من ملاحقة السيارة السوداء التى سبقته .. ثم تباطأت حركة القطار أكثر فأكثر ، وصدر عن عجلاته صرير غير عادى .. ثم أحدث هزة توقف بعدها تماما ، وساد سكون ، وكان الليل قد توغل فى ظلامه الدامس .. وانطفأت أنوار القطار لحظة ثم عادت أشد توهجاً ، وإذا به يسير بظهره كأنه يعود من حيث أتى ، أو لعله دخل فى خط حديدى آخر ، وهو أمر لم يتوقعه ، ولم يسترح إليه ، فنهض ليغير جلسته ، ثم قرر أن يغادر العربة من حيث خرجت القطة ، لعله يجد فى العربات الأخرى من يسأله عن سر هذا الذى يحدث .. فتح الباب ، وتقدم فى الممر .. فرأى رجلاً آخر يبتسم له .. تقدم منه حتى اعترض الرجل طريقه يسأله والابتسامة لا تفارقه :

- ما رأيك ؟

قال فى دهشة :

- لا أفهم .

قال الرجل محتفظاً بابتسامته :

- اعترف بأنى سبقت القطار .. وأوقفته .!

نعم .. هذا هو السائق الذى كان يقود السيارة السوداء .. هذا هو الذى قفزت من سيارته المرأة .. وكان الرجل يقول له :

- أخيراً .. عثرت عليك .. ألا يعجبك أنى فعلتها .

وأمسك بيده يجذبه إلى مقعد بعيد ، ومد يده إلى كومة رفعها هاتفاً :
ـ إنها عروس من القش .. ملونة مزركشة ..

ثم أضاف بصوت قوى :
ـ طبعاً افزعتك .. لا تنكر أنك فزعت ..

قـال :
ـ الذى أفزعنى .. أنك تعرف .

فربت الرجل على كتفه وهو يلقى بالعروس القش على المقعد قائلاً :
ـ تمثيل فى تمثيل .

صـرخ :
ـ لكن .. من أنت ..

قال الرجل فى هدوء :
ـ أنت .. تعرف الإجابة .. ياسيدى الممثل .. كنت غير موفق فى مشهد السيارة .. أوقفت سيارتك لتمنعها من الانتحار .. مشهد تمثيلى سخيف .. تمثيلية العاشق الولهان .. أو تمثيلية المظلوم من هيستيريا زوجته .

همـس :
ـ هل كان الحل أن أتركها تموت .

قال الرجل :
ـ لكنك تركتها تموت .. منذ انتابتها لحظة الهيستيرياً فى السيارة .. ثارت خلايا جسدها .. وانتهت بالأورام السرطانية فى الثديين ..

صـاح :
ـ لا تقل هذا .. أنت تلعب بعروسة من القش ..

فقاطعه الرجل :
ـ ما أدراك .. إنها كانت عروسة من القش كهذه .. ما أدراك أنى لم أقذف بجسدها الحى من لحم حقيقى ودم حقيقى ..

صـرخ :
ـ جسد مـن ؟

قال الرجل باسما وهو يدفعه بيديه :

- جسدها .. جسد زوجتك .. هيا ابتعد عنى .. لا أريدك أمامى .. أيها الممثل القاتل .

وظل الرجل يدفعه ، حتى اخرجه من العربة ، ليعود إلى وجه الفأر ، وكانت القطة السوداء رابضة على حجره .

الفصل الخامس

عاد إلى العربة ، وكأنها ليست نفس العربة ، كل شىء لم يعد كما كان ، والرجل الذى له وجه فأر يحتفظ بالقطة السوداء ، وفى نظراته دعوة غامضة إلى أمر ما . الرجل والقطة ، كلاهما يتربص به ، ولن يفيد أن يتجاهل وجودهما ، يغمض عينيه ولا يفتحهما حتى يصل به القطار إليها ، كانت على حق وهى تقول له إنه لم يعد له مكان فى هذا البلد ، سيظل محاصراً حتى يختنق ، حول بصره إلى النافذة يلوذ بما يراه فى الخارج ، فلاحظ أن شيئاً يوشك أن يتدلى خارج النافذة من سقف القطار ، قبل أن يتبين هذا الشىء ، رأى وجهها يطل عليه من الخارج ، تبتسم له . تنقر بأصابعها على زجاج النافذة ، أظافرها مطلية بلون برتقالى تشع منه بهجة ، فتح النافذة فهبت عليه بنسماتها تطوقه بذراعيها وقد ظهرت أشعة الشمس بين خصلات شعرها ، وظهرت الشمس من بين سحابة عالية وهضاب فى نهاية الأفق يراها بين خصلات شعرها ، وكان عطرها يملأ رئتيه وجسدها الدافىء يضغط صدره فى حنان ، وشفتاها تهمسان فى أذنه :

- لا تخدع نفسك .. عليك أن تواجه هذا الذى تورطت فيه .

همس غير مصدق ما يسمعه :

- أنت تقولين هذا ..؟

قالت وهى تمر بأناملها فى شعر رأسه :

- ماذا تتوقع منى غير ذلك ..؟

همس وهو يدفن رأسه فى صدرها :

- الست..

قاطعته قبل أن يكمل :

- قلت لك لا تخدع نفسك .. لست التى أنت ذاهب إليها .

همس :

- كيف .. كنت قادماً إليك .. لست ذاهباً إلى أحد غيرك .

قالت فى مرح :

- أنا معك منذ البداية .. أنا لم اتفق معك على سرقة المال ..

- أية بداية .؟

قالت :

- منذ طفولتك .. منذ ولادتك ..

قال معترضاً :

- لا .. هذا غير صحيح .. قابلتك فى السفارة .. أنت تؤلفين كتابا عنه .. تجمعين التفاصيل الصغيرة التافهة .. تريدين رؤية الزعيم من خلال رؤية العادى الصغير .

أسكتته بقبلة ثم همست :

- إذا أردت أن تبدأ حياتك الجديدة .. فلابد أن تعود إلىَّ .. تعود إلى طفولتك ..

ردد الكلمة ذاهلاً :

- طفولتى ..؟

قالت وهى تحك أنفها بأنفه :

- نعم طفولتك .. إنها فصل مهم فى كتابها .

قال :

- تقصدين كتابك أنت ؟

قالت :

ـ لا .. أنا التى معك منذ طفولتك .. نسيتنى بعد أن حاصرت الدبابات طفولتك .. عزلوا فاروق .. وعزلوا طفولتك ..

كان الدفء يسرى من جسدها إلى جسده فيشعر بخدر ناعم لذيذ .

سألها كالمنوم :

ـ أين كنت ..؟

غمزت بعينيها لنافذة القطار . كان مندفعا فى صحراء قاحلة ، فوضعت أناملها تغطى عينيه ، فرأى القطار يشق مزارع البحيرة عائداً من الإسكندرية ورأى أباه يتحدث مع طبيبة إنجليزية ، وجهها أحمر وشعرها أبيض ، وكانت تقول لأبيه :

ـ ابنك هذا يشبه صور الأطفال على علب أوفالتين ، خد متورد بالحيوية .

همست فى أذنه :

ـ هذه الحكاية كانت ترددها أمك .

همس :

ـ نعم ..

قالت ساخرة :

ـ اعتراف رسمى إنجليزى .. شهادة صادرة من الامبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس أن ابنها طفل جميل يشبه فى جماله أطفال الانجليز .

واعتدلت فى جلستها على حجره وهى تسأله :

ـ هل وزنى ثقيل ؟

همس :

ـ أبداً .

قالت مداعبة :

ـ على أية حال لن أتزحزح من مكانى .

الكلمات والحروف الإنجليزية لا تتزحزح من مخيلته ، تطوف رأسه وتلتصق بجذور شعره وغضاريف أذنيه ، تثيرها أناملها التى تداعبه ،

فتحوم الكلمات كفراشات زاهية الألوان ، لأن الكلمات الإنجليزية لابد أن تكون جميلة زاهية الألوان .

قال ضاحكاً :

- حتى اللهجة الإنجليزية .. كان لابد أن أتقنها .. أن أنطق مثل الانجليز ، هذا هو مصدر الافتخار .. تقول أمى مزهوة كأنى إنجليزى يتكلم .. لا تستطيع أن تقول إنى مصرى .. أما أبى فقد خرج من القرية ليتعلم الإنجليزية ويحارب الإنجليز باللغة الإنجليزية .. يعرفها كما يعرفونها .. ويرتدى ملابسهم كما يرتدونها ، أول من ارتدى البدلة الإفرنجية فى قريته .. ولذلك لا أحد يجرؤ أن يقول إن الإنجليز أحسن منه .. أو أن المصرى ليس من حقه أن يكون ندا للإنجليز .

قالـت :

- لابد أنه كان سيفرح لو عاش يوم طردهم ..

نظر إليها وكأن انفجاراً حدث فى رأسه أثار غباراً وسحاباً ثم انقشع فكأنه يراها لأول مرة فقال فى دهشة :

- لست أنت ..

ضربت على فمه بأناملها :

- قلت لك هذا منذ البداية .

وناطحته برأسها وهى تقول بصوت مرتفع :

- لست التى تهرب معها وتسرق الخمسين مليونا .

وطوقها بذراعيه ودموع فى عينيه .

وارتفع صوت يدوى :

- الهزيمة تدفع الناس إلى الهرب من بعضهم بعضاً .. ويسرقون أموال بعضهم بعضاً ..

كان الذى يتحدث الرجل صاحب وجه الفأر .. وكانت القطة السوداء قد اختفت .. ورأى الرجل على مقربة شبر منه ، أما هى فقد اختفت ، والرجل يقول بصوت رتيب :

- مفتاح اللغز معروف .

أى لغز يتحدث عنه . أين تلك المرأة ، يريد أن يخرج من هذا الهذيان المحموم الذى يتصاعد ويتكثف ويوشك أن يبتلعه فى دوامة جنون ، وكان يذكر صوراً مختلطة لأبيه الذى مات وهو صبى ، وكلمات عابرة له ، ابتسامة أو غضبة ، يد تمسك العصا ، أو تقدم الحلوى ، لماذا ينبش القبور ، وخيل إليه أن المرأة التى كانت تجلس على حجره ، تشبه أمه ، تشبه صورة لها وهى بنت فى الرابعة عشرة .. هز رأسه بعنف يريد أن يفيق ، فرأى وجه الفأر أمامه ، فسأله ، توسل إليه :

ـ أريد مفتاح اللغز .

قال الرجل :

ـ مازلت غير مقتنع بالانتصار بعد الهزيمة .. مازلت غير مقتنع أن مصر خرجت من دائرة بورندى .. ورواندا .. مازلت تبحث عن انتصار آخر ..

همس متوسلاً :

ـ لا شأن لى بكل هذا ..

قال وجه الفأر :

ـ إنه يطاردك .. حتى تتخلص منه ..

سأل :

ـ ماذا تعنى ..؟

قال الرجل :

ـ تخلص من هذا الممثل الذى يسيطر عليك .. اطرده ..

همس كالمخاطب نفسه :

ـ أتخلص منه .. كيف ؟

قال وجه الفأر :

ـ أنت تعرف ..

وأشار إلى النافذة ، وقال :

ـ لقد رأيتها تدخل عليك من النافذة .. تستطيع أن تخرج وراءها من النافذة .

وسمع مواء القطة السوداء التى اندفعت بين أقدامهم . فتبعها وجه

الفأر ، حيث كانت تنتظره عند مقعده ، فجلس ووضعها على حجره ، وجعل يداعب رأسها بأصابعه ، بينما عيناه لا تتحولان عنه . كمن ينتظر أمراً .

رأسه طاحونة لا تتوقف عن طحن أعصابه وخلايا مخه الذى ينزف دما يراه أحمر قانيا فى كل ما يراه من حوله ، تأرجح فى مقعده ، أين هى ، الهذيان لا يتوقف . هذا هو الجحيم .. لجأ إلى القطار ليهرب ، لكنه يوغل فى لهيب مستعر .. ولم يعد يثق فى شىء ، أو ينتظر شيئاً ، كل مابقى له هو الوجه الكئيب يرقبه فى نهاية العربة ، يخاطبه كممثل ضاعت أيامه فى هذه الأحداث التى يواجهها ، أهى خيالات جنون . أم حقائق يشهد عليها هذا الفأر الذى يداعب القطة ، أيكون فى كابوس . لو هز رأسه سوف يستيقظ . ويجد نفسه فى الفندق يستعد لركوب القطار والذهاب إليها ، الأوراق التى فى جيبه لاشك فيها ، والقرار الذى اتخذه بتحويل الودائع لاشك فيه ، ليس فيه ذرة من حلم . والكتاب الذى تؤلفه حقيقة لا خلاف عليها . لا حلم ولا كابوس ، هذا هو الواقع لولا أن أفكاراً وخيالات تختلط وتتفاعل فى رأسه .. وهذا الرجل الفأر قد درس أسرار علم النفس وهو يلعب لعبة قذرة ، وسوف ينتهى به الأمر إلى أن يسيطر عليه ، ويجعل منه تابعاً منوماً ينفذ أغراضه ، سوف يفرض عليه أن يشاركه فى الأموال ، هذا أمر واضح ، ولابد أن يقاومه إن خمسين مليونا تستحق أن يحارب من أجلها ، لابد أن يوقف القطار الملعون الذى تعربد فى عرباته خيالات وخواطر أشد فتكا من الأفاعى ، تنقض بانياب تنفث السم القاتل ، ولقد خدرته ، وبعد قليل سوف تبتلعه ، كيف يوقف القطار ، تلفت حوله ، فرأى المقبض الأحمر فوق باب العربة خلف الرجل والقطة ، لم يعد هناك مفر من إيقاف هذه الرحلة ليخرج من القطار ويتفق معها على لقاء بطريقة أخرى ، ربما نصحته فى أمر هذا الرجل ، إنها لا تدرك الأهوال التى يخوضها . تسكب المداد على الورق لتروى حكايات مسلية ، ثم تتمتع بالملايين ، لا يكفى أن تكتب ، لابد أن تشارك فى مواجهة هذا الذى يحاصره .

وقف متجها إلى المقبض الأحمر ليجذبه ، وما كاد يمد يده حتى قبض الرجل بقوة على ساعده صارخاً :

- لا تفعل أيها الجبان .. لو توقف القطار هلكنا ..

وقف جامداً .. لا يدرى ماذا يفعل ، هل يستطيع أن يتغلب على هذا



www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

الرجل ، يصرعه ، ثم يوقف القطار .. أو يصرعه ويقذف بجسده من النافذة .

وسمع الرجل يقول له :

ـ تريد أن تقتلنى .. وتقذف بى من النافذة .. لكنك مخطىء فى حق نفسك ..

وجذبه الرجل ليجلسه بجواره ، وربت على كتفه قائلاً فى لهجة شديدة الهدوء والاطمئنان .

ـ اسمع .. المطلوب .. هو أن تتخلص من الممثل ، هذا هو كل مافى الأمر .. بعد ذلك سوف تكون كل الأمور فى غاية السهولة والبساطة . رأى القطة هادئة ترقبه بعينين نصف مغمضتين ، لا يبدو عليها أى انزعاج .

التفت إلى وجه الفأر وسأل :

ـ أرجوك .. من أنت .. أريد أن أستريح .؟

قال الرجل بصوت هادىء :

ـ لا تراوغ .. أنت تعرفنى ..

قال فى ضيق :

ـ لابد أن ننتهى من هذه اللعبة .. لم يعد لها معنى .

قال وجه الفأر فى وقار يثير الغيظ :

ـ أنت الذى تستطيع أن تضع النهاية .

همس بصوت متحشرج :

ـ كيـف ..؟

قال الرجل بسرعة :

ـ لست غبياً ..

فعاد يسأله :

ـ لكنك تطاردنى ..؟

قال وجه الفأر :

ـ هذا هو قدرى .. هذا هو قدرك ..

فسألـه :

- تكلم بصراحة ..؟

قال وجه الفأر باسماً :

- أنت تطلب منى أن أروى لك ما تعرفه .. وهذا أمر ممل ، ومع ذلك .. أراجع معك للمرة الأخيرة .. المشروع ..

ومضى وجه الفأر يسرد تفاصيل الخطة الموضوعة لتحويل الودائع بكل تفاصيلها . الجلسات التى اتفق فيها على تجنيد المثقفين للدعوة إلى الجهاد وإعلاء كلمة الشريعة وحكم القرآن . ثم الجلسات التى اتفق فيها على تجنيد المثقفين للدفاع عن الديمقراطية والخصخصة واحترام حقوق الإنسان ، والجلسات التى حصل فيها على الملايين لأنه لم يفتح فمه بكلمة ، وظل يهز رأسه معجباً بما يسمعه كأنه موافق على الحكمة التى تتدفق من الأفواه تصاحبها الدنانير تتدفق من الجيوب . لماذا لم يناقش . لماذا لم يعترض . لعله كان ينتظر لحظة يجمع فيها شملهم .. فبعد أن تجمعت الأموال يسهل تجميع النفوس ، لكنهم دفعوا ليقتلوا بعضهم بعضا ، والكل يريد أن ينتصر على الجميع باسم الزعيم الذى رحل .

خفق قلبه يمزق صدره وهو يستمع إلى وجه الفأر وسأله :

- أنت من رجال الشرطة ؟

قال الرجل باسماً :

- كيف أجيب عن هذا السؤال .؟

قال مرتعـداً :

- إذن ..

فقاطعه الرجل :

- أنت تعرف جيداً من أنا . وقد أبلغتك إعجابى بك . وجئت لأحييك .. وصفقت لك .. لأنه آن الأوان لأن تسدل الستار على تمثيلياتك .. وننتخلص منها ، حتى نتفرغ لمشروعنا .

عندئذ خطر له مرة أخرى أنها أرسلت له الرجل يتعقبه ، خشية أن يخدعها ولا يصحبها معه فى هربه ، بل ربما كان الأمر أخطر من هذا . إن

الرجل يعرف كل شىء ، وهو يعرف بأمر الكتاب .

صرخ فى وجه الفأر :

ـ هل تعرف الكتاب الذى ..

قاطعه الرجل :

ـ قرأت كل ما كتبته حتى الآن سطراً سطراً ..

فصاح فى الرجل غاضباً :

ـ أنت تريد أن تنتزع منى اعترافاً بأنى فشلت فى حياتى .. وتريد أن تربط بين هزيمته وفشلى .. تريد أن تفسد مشروعى . تريد أن أتخلص من ذكرياتى . من كل شىء عرفته فى حياتى ، ثم تريد أن تتخلص منى .. ربما تريد أن تحصل على صورة لجثتى ، سوف تكون فى صفحة من صفحات كتابه ، صورة جثة الرجل الذى لعب الشطرنج معه . كل من عرفوه ، كل من اتصلوا به فشلوا فى حياتهم . لا تريد لى أن أحيا وأحب وأتمتع بمباهج الحياة .

قال الرجل وهو يضع يده على كتفه وعيناه تخترقان عينيه :

ـ اسمعنى جيداً .. أنت لا تصلح لأى شىء . ولابد أن تتخلص من ماضيك .. قبل معرفتك به ، وبعد أن عرفته .. حياتك كلها هى السبب فى عجزك .. فى افتقادك للثقة بالنفس .. عشت حياتك تقلد كالببغاوات ، الآخرين .. الإنجليز .. حياة العائلات التى يقولون إنها راقية .. تقليد لأفلام السينما . كيف تقبل يد المرأة .. كيف تساعدها على الجلوس .. كيف تنحنى برقة .. كيف تصنع لنفسك صوتاً رقيقاً .. تعلمت الحرص على دهن شعرك بالبريانتين .. مددت يدك لعاملة مانيكير .. فلما أخرجك صاحبك من كل هذا . ماذا بقى لك غير الشقلبة ، فلما مات ماذا بقى لك غير التظاهر باسمه .

هتف متوسـلاً :

ـ أنت تتفرج علىَّ .. تتلذذ بمراقبتى .. هذا فوق احتمالى .

وانقض على الرجل يريد أن يخنقه . لكن يديه تشنجتا وجمد مكانه برهة ، ثم انفجر باكيا وظل ينهنه :

ـ كنت فى أشد الحاجة إليك ..

وانطلق يعترف لوجه الفأر ، أنه صادق فى كلامه ، فقد عاش منذ طفولته فى سيرك . مهرج يضعون الأصباغ على وجهه .. هوايته الشقلبة .. بهلوان .. نعم .. استفاد من مهنته .. قالوا : إن عصره انتهى .. وذهب معه عصر الزعامات .. قالوا الجمهور هو البطل ..

فاقنع نفسه أنه البطل من الجمهور .. كلام فارغ .. البطل مات .. وكل واحد يلعب على مزاجه .. كل واحد وشطارته .. لن تعود أيام الماضى .. لن تعيدها الملايين التى يدفعونها .. لأنها فسدت .. كالطبيخ الحامض .. الاحتفاظ به يفسد أى طعام ، يفسد أى إناء .. يفسد البطون التى تأكله .. نعم .. مارس هواية التمثيل .. لو فكر فى الماضى لوجد أنه مارس أنواعاً من التمثيل تصلح للتصوير على شريط سليلوز .. ها . ها . ها .. شريط على لوز .. ماذا يريد الآن أكثر من الملايين .. وهو يعترف بأنها هى التى نبهته وفتحت له الطريق .. والأمل .

قطع روايته ، لأن القطة كانت قد فتحت عينيها ترقبه كما لو كانت تفهم كل كلمة يقولها . وتعرف ما الذى يدمدم فى أعماقه .

همس متهالكاً :

- على أية حال .. يكفى أنك أعلنت إعجابك بى ..

فقال وجه الفأر بصوت جاد :

- حان الوقت لأن نتخلص من الممثل ..

وتقدم الرجل من النافذة بجواره وفتحها .. والتفت إليه وقال :

- ألا توافقنى ..

همس بصعوبة :

- نعم سأغادر القطار مرفوع الرأس .. يكفى أن وصلت إلى إعجابك بى .. هذه هى النهاية السعيدة التى أسدل بعدها الستار الختامي .. حان الوقت .. آن الأوان لأن أقدم أفضل أدوارى .. لن يكون كلاماً ..

وتلفت حوله قائلاً :

- لابد أن أكون فى ملابس كاملة ..

واتجه إلى مقعد .. ليرتدى سترته .. وفوجىء بالرجل يقبض على

ذراعه .. قائلاً :

ـ الأوراق .. أخرجها .. إنها لا تخص الممثل .

فأخرج الأوراق . ونظر فى مرآة صغيرة فوق مقعده .. وابتسم لنفسه ، وهمس : الوداع . وتقدم من النافذة ، وكان القطار مندفعاً بأقصى سرعته ، يرتفع فوق هضبة صخرية . وقفز من النافذة قبل أن يرتدى سترته .

www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

الفصــل الســادس

تروى الأساطير التى وردت عن الرجل الذى ركب القطار . أن ملاكين أحدهما لليمين وثانيهما لليسار كانا يطيران فوق سحابة عالية يراقبان أحوال الرجل وهما على ارتفاع ثلاثين ألف متر . ويقال إنهما كانا مكلفين بمتابعة قفزة الممثل من النافذة . وأنهما كانا يتوقعانها . وربما على علم مسبق بأمرها .

والتفت ملاك اليسار إلى ملاك اليمين قائلا :

ـ منذ أن ركب القطار . وأنا أشعر بأن اهتماما غير عادى يحيط بهذا الرجل .

وكانت كوكبة من العفاريت تحوم داخل القطار وخارجه من بينها عفريت أتخذ هيئة قطة سوداء داخل العربة التى قفز منها الممثل وكان العفريت يراقب الآن مابقى من الرجل الذى جلس ذاهلا لا يرى ولا يسمع . ويتنصت العفريت فى نفس الوقت على ما يدور فى المؤتمر الذى عقده الجن فوق قمم الجبال يناقشون العلاقة بين عالم الانس وعالم الجن ، وكان أحدهم يقول : إن الإنس تعودوا اللجوء إلى عالم الجن لعلاج مشاكلهم . وأنه قد آن الأوان لأن يحاول الجن الاستفادة من خبرات عالم الإنس التى قد تعالج مشاكل كثيرة فى عالم الجن . وكان ملاك اليسار قد دخل فى جدل مع ملاك اليمين . فالأول سجل قفزة الممثل على أنها من السيئات . والثانى سجلها

على الحسنات . وأصر ملاك اليسار على أن أحدهما أخطأ فى تقديره . أما ملاك اليمين فكان يرى أن مهمتهما مقصورة على التسجيل وليس من شأنهما إصدار الأحكام .

فقال ملاك اليسار :

- طرد الممثل من حياته .. انتحر الممثل وبقى اللص . قال ملاك اليمين :

- قلت لك نحن لا نصدر أحكاما ولا نتنبأ . والأمر لصاحب الأمر .

* * *

كان القطار يندفع صاعدا جبلا . يشق طريقه بين أشجار كافور ، وكانت مئذنة جامع تصعد نحو سحابة تقترب ، ولفحة برد تهب من النافذة التى قفز منها الممثل . ذهب . اختفى . مات ولحق بمن ماتوا . أما هو فقد خرج من شرنقة الماضى . وانتهت المشاحنات بينه وبين نفسه . كانت كاميرات التليفزيون مطلوبة لتلتقط المشهد الختامى وإسدال الستار على حياة الممثل نهاية البهلوان والشقلبة . لكن أحدا لم يلحظ ما حدث ، إنه وحده فى العربة . أين القطة التى كانت معه . مد يده إلى سترته وتحسس الأوراق التى أعادها إلى جيبه ثم ارتدى السترة . ورفع بصره إلى المرآة فوق مقعده . تأمل وجهه طويلاً ، يبحث فى ملامحه وأعماق عينيه عن ملامح كانت فى وجهه ويفتقدها . أحياناً يخيل إليه كما لو كان فى أعماقه شخص آخر يشعر بحنين جارف إليه ، لو تجسد أمامه لعانقه ، إنه فى أشد الحاجة لأن يراه ، يلمس جسده ، يحتضنه ، يضمه إليه ، كما لو كان يقابل نفسه وهو صغير ، وهو شاب . كما لو كان يقابل ابنه أو ابنته وقد حرم من الأولاد . لقد أحب الوجه الذى اختفت ملامحه وكان الهواء الذى يهب من النافذة المفتوحة قد طيره . هل من الشذوذ أن يعشق شبابه . وارتجف وهو يزعق لنفسه ، إنه كان يكرهه . يحبه ويكرهه . حتى تخلص منه ، لاشك أنها ساعدته بعواطفها ومشاعرها والكتاب الذى تؤلفه ، ليحسم الأمر فى هذا الصراع بين الحب والكراهية ، بين الحاضر والماضى . إن الملايين تنتظره ، وأحلام تاه معها . لكنه على أية حال يستطيع أن يقول لنفسه الآن وقد تخلص منه ، إنه كان يحب هذا الماضى ويعشقه . أما الكراهية فقد ماتت . الحب يحيا حتى مع ذكريات الموت . أما الكراهية فلا تحيا مع

ذكريات الموت . سوف يقول لها عندما يصل إليها . إن كتابها تعبير عن حب . اهتمام وعواطف مهما جاء فيه من نقد وقدح . ولن تعارضه . وهى التى قالت له يوم قبلها لأول مرة . أنها لم تتوقع أن يقبلها ، فلما سألها لماذا . أجابت وقد تصنعت الخجل أنها ربطت بينه وبين الزعيم ، فلو توقعت مثل هذه القبلة ، فكأنها تتوقع أنها قبلة الزعيم . كانت على استعداد لأن تقدم وتعطى بل تضحى من أجل أن تفوز بكتاب عنه . كتاب مثير . أو جيد أو موضوعى . أو مرجع تاريخى . إنها لا تعد بأكثر من تسجيل تفاصيل لم يعرفها الناس من قبل . تفاصيل . تفاصيل . مثل هذه القطة السوداء عند الباب . ماهذا . ما الذى يجرى . رأى القطة تطول وتتضخم وتقف على قدميها الخلفيتين . ثم تطول وتطول حتى يصل رأسها إلى سقف العربة ، قامتها مطاطة ، رأسها مثلث مقلوب ، لامعة ملساء ، أو هكذا خيل إليه . يتوسط المثلث المقلوب دائرتان واسعتان ، عينان أو طاقتان ينبعث منهما ضوء بنفسجى عجيب ، أما قمة المثلث فتتدلى منها ذقن طويلة ، أو ذيل حصان ، لم يفزع ولم يدهش . بل زاد اطمئنانا وثقة بالحيوية التى تتدفق داخله . هذا الذى ظهر أمامه افضل بكثير من ذلك الذى قفز من النافذة . وإذا كان عفريتا فمرحبا بك ياعفريت ، إن علاقته قديمة بالعفاريت . تعود إلى أيام طفولته . وأيام جده لأبيه ، وبرعى الذى كان يلعب معه السيجة فى الحوض القبلى ، وعند ساقية الحاج أبوسلامة . ولا ينسى حكايات برعى عن العفريت وهو عائد من الحقل مع غروب الشمس . كان يستمع لبرعى ويحسده . ويسأل لماذا هو محروم من لقاء العفاريت . ويضحك برعى .. ويضحك جده . العفاريت لا يظهرون للقادمين من البندر . أخيراً هاهو يظهر أمامه . جسد له أحوال . يتشكل من قط إلى عملاق إلى قزم . هاهو تحول من قطة إلى هذا الكائن له قرون كبش تتحرك كما لو كانت قرون استشعار . هاهو كما أراد أن يراه عندنا كانوا يتحدثون عنه ويتذاكرون نوادره . بينما يصب جده الشاى ، رافعاً البراد ثم هابطاً به والرغاوى والزبد يرتفعان فى الكوب الصغير . وجدّه السلطان الذى يرشف ويدخن ويزغر بعينيه ويتكلم بصوت عريض خفيض كان ينصت إلى أحاديثهم عن العفاريت والجن . حتى إذا ما فرغوا من هذا الحديث ودخلوا فى أمور أخرى . تسلل إلى جدته نائمة فوق الفرن . لتتحسس شعره ، ويمد أصابعه ليعبث بشعرها الأبيض تسرى فيه نيران الحنة الحمراء ، هذا العفريت قادم من عندهم . كان ينتظر ذهاب الممثل ليدخل هو . عفريت

طال غيابه . جاء يذكره بالماضى الذى نسيه أيام التمثيل لابد أنه على صلة بالعفاريت القديمة التى كانت تلعب مع برعى . تعال اقترب . قالها دون أن ينبس بكلمة وهو واثق أن العفريت يسمعه ، هذا العفريت جاء بمشاعر حنين وراحة ، مشاعر فوق وشوق ، فيها رائحة جدته وجدة . رائحة البرغل والسمك فى البرام والخبز البتاو . هاهو يتخذ الطول المناسب ويتقدم قائلا دون أن يصدر عنه صوت ما الذى تريده ؟ كان جميلا ، ابتسامته فوق ذيل حصان . وعيناه دائرتان ، قمران صغيران بنفسجيان تتدفق منهما موجات باسمة . وعاد العفريت يقول : ما الذى تريده . ثم سأله فجأة :

- هل أنت مستعد ؟

أجاب وهو لا يعرف ما الذى يعنيه السؤال :

- نعم مستعد .

قال العفريت :

- إذن . هيا بنا ..

قال وقد تنبه إلى أنه يتورط فى أمر لا يعرف أغواره .

- إلى أين .. لا أستطيع أن أغادر هذا القطار .. حتى يبلغ غايته ..

قال العفريت :

- أعرف .. الأموال تنتظرك .. وهى فى انتظارك .. وتريد أن تصل إليها . لكنك تستطيع أن تطلب أى شىء آخر ، مازال أمامك وقت .

كان يتحدث وابتسامته تنداح فى دوائر ، واحدة تلو الأخرى .

غمغم لنفسه :

- أردت أن أفهم بعض الأمور .

قاطعه العفريت :

- تريد المبررات ..

قال معترضا :

- أريد أن يطمئن قلبى ..

ثم أضاف كأنه يعتذر :

- أنت تعلم .. أن الممثل ذهب .. والمواجهة أصبحت صريحة

ومكشوفة . أريد أن يطمئن قلبى .

سأل العفريت متخابثًا :

ـ بالنسبة للماضى ..؟

فقال بسرعة :

ـ الحاضر أهم الآن .. ليتها كانت معى ..

قال العفريت :

ـ إذن .. هى معك .

فإذا بها جالسة أمامه ، هكذا ، كما لو أنها بدأت الرحلة معه بل كان وجودها يحقق له وجوده ، وكل ما عاش به من قبلها كان أحلاماً لا تتحقق ، ما أكثر أحلامه التى ذهبت ، أحلام يقظة، أحلام نوم ، أحلام بعد أحلام ، ليل نهار ، فى انتظار فجر كان واثقا أنه آت ، وأنه سوف يشهده . ذهبت الاحلام ، وجاءته باسمة كما عرفها يوم اندفع إليها فى قاعة السفارة . هكذا يشعر الآن ، إنه كان يبحث عنها وليست هى التى تبحث عنه . المحامى الذى فقد قضايا مكتبه ، والصحفية الطموحة التى تصعد سلالم المجد وتكتب أخطر كتاب عن الثورة . كتاب جديد فى كل شىء ، وجهة النظر . أسلوب التناول . الجانب الإنسانى . الجانب العبثى ، تكتب بلا أحكام مسبقة ، لا أحكام ولا تنبؤات . اقتلعته من جذوره ليقف جانبها يشاهد معها الماضى الذى عاشه . والماضى الذى تكتب هى عنه . هذه المخلوقة البديعة جعلته يطمع .. نعم يطمع .. يطمع فى أن يعيش معها حياة أكثر بهجة .. لا خوف من عقبات ، لأن لقاءهما كما أرادته هى . جديد كمعجزة . مثل لقائهما الآن بتدبير العفريت . لقاء ساحر . غير لقاءات سبقت فى أحضان الطبيعة . الزهور والورود وأوراق الشجر . وجسد اختلط بالرمال والتراب وبللته مياه البحر . الآن فى أحضان السحر تلفهما نشوة خاصة غامضة شأن كل مستقبل لم تتضح صورته بعد . لكنه مع ذلك يفتقد الحماس على عكس ما كان يشعر بنوبات الحماس الجارف وهو ينتظر فجر الأحلام . يبدو أنه واثق تماما من نفسه ، من الأموال التى تنتظره ، فى سويسرا ، واثق أنه قادر على تخطى الآخرين ، والتصرف كما لو كان وحده فى هذه الدنيا . كما هو وحده الآن فى عربة هذا القطار ، وفوق ذلك يشعر بالقوة تسرى فى عروقه ، ويستطيع أن يتحدث معها ، ويتبادل معها كل

www.library4arab.com/vb

خاطرة تخطر بباله . ويتبادل معها كل ألوان الحب والعشق بأطيافها وتنويعاتها بلا حدود أو قيود . ولن يتكلف جهداً ، هاهى أمامه لا تقترب منه ولا يقترب منها . يتأملها وتتأمله .

عيناها واحتان ، عيناها طريق . عيناها ميدان فسيح رحب . هذا الجمال فيه ما يشغل ناظره عن جماله . من بين ما يشغله شعوره اللذيذ بأنها شريرة استطاعت أن تقنعه بأن الشر جزء من جمالها ضرورى لسحرها ضرورى للحياة . تقول له إن هذا الذى كان يتصور أنه شر ليس شرا . بل فيه خير كثير . هاهى معه قبل أن يصل إليها . معا فى عربة واحدة فى قطار ذاهب إليها . وقد اختفى العفريت .. لا .. إنه القطة السوداء التى تقف هناك عند الباب . اختفت القطة . عندما تذكرها كأنها أدركت أنه يريد أن يكون معها وحدهما ، على الأقل من حيث المظاهر . هناك كلام كثير لابد أن يبوح به . كل الأمور أصبحت ميسورة . لا توجد عقبات ولا عراقيل . حتى السفر من الممكن تجاوزه ويتكفل العفريت بنقلهما فى لمح البصر إلى لوجانو ولن تقف أمامهما حواجز جوازات سفر وجمارك ومطارات . لكن هناك أمراً لابد من مواجهته بعد أن تخلص من الممثل الذى ألقى به من النافذة . لقد لفظ الممثل أنفاسه فى مكان ما عبر هذا الطريق الذى يتدفع فيه القطار ويريد أن يقول لها إنه فى حاجة إلى أن يفهم .. لا لن يقول شيئا سوف ينتظر ما تقوله هى ، رآها تبتسم وكأنها تعرف ما يدور فى رأسه . كانت هادئة ، ناعمة ، لا تذكر شيئا عن رحلتها إليه . كان اللقاء واقعا لا جدال فيه لقاء عاشقين عرفا العشق وتذوقا طعمه منذ زمن بعيد . ويجمع بينهما تفاهم حول أمور كثيرة تربط مستقبلهما برباط وثيق . وشائج كأنها من لحم ودم . لحم هو صفحات كتاب ، ودم ينبض بالمتعة والأمل وغرام وصفقة مال . وعلاقة لم تلوثها الفروسية ، ولا تضحيات ثورة ، ولا تحتاج إلى مشاهد تمثيلية للتعبير عن الحب والهيام . فهما أكبر من الرغبة والشهوة وإن كان مطلبها له متعة . لماذا تهاجمه الأفكار فى هذه اللحظة وهى جالسة أمامه تبتسم وتقول إنها فرحة لأنه أصبح مهيئاً تماما للرحلة .

حاول أن يقول كلمة لكن الذى يريد أن يقوله يحتاج إلى صبر ، وإلى أن يتركها تتكلم أولًا . وهاهى تعلن أنها توشك أن تنتهى من الفصل الخاص به فى الكتاب . وأنها متعبة وتشعر بالحاجة إلى راحة لأنها عاجزة عن القيام



www.library4arab.com/vb

بأى جهد . فهم أنها غير مستعدة لأن يطلب منها غراما يجهدها . فلا تحدثه العربة الخالية أو المناظر التى يمر بها القطار بأن يستجيب إلى إغراء ينطلقان فيه على سجيتهما . لكنه يعرف طبعها . فهى أحيانا تنقض عليه كنمرة متوحشة تريد افتراسه وهى لن تفعل ذلك الآن لأنها أقرب إلى حمامة وديعة منها إلى نمرة ، وضحكت وقد أعجبها التشبيه ، وشعر هو أنها لو استمرت فى حديثها بهذه اللهجة وواصلت التشبيهات والضحك فسوف تفتح الطريق على مصراعيه لما تعتذر عنه . فهذه هى عادتها ، أن تبدأ كما لو أنها لا تريد منه أكثر من الجلوس بجوارها فى غاية الأدب يستمع إليها ويجيب عن أسئلتها دون أن يطيل فى الكلام ، إلا إذا كانت تريد أن تسمع منه المزيد مما يساعدها فى كتابها . لكن الوقت يمر فإذا بها تنفعل وتضطرم بحيوية ومكر ورعونة ، وعليه أن يخرج من حالة الأدب قبل أن تسخر منه . لو فهم الناس كتابها ، هكذا كانت تقول له ، فسوف يكتشفون أن ما كتبته عنه كان عن حبه ، وما كتبته عن الزعيم كان عن حبه هو للزعيم ، أما غير ذلك فهو ما كتبته هى لتنزعه كحبيب وعاشق لها من براثن الزعيم الذى سيطر عليه . نعم أردت أن أنزعك من براثنه وأنيابه لأنك توشك أن تدفن نفسك معه . تموت وأنت تمشى على قدميك . لن أتركك مدفوناً معه . لن تهزمك أحلام لم تتحقق . وابدأ معى من الصفر من التفاصيل التافهة ، ترويها عنه أو التفاصيل التافهة نعيشها معا . نرحب بالتفاهة حتى لا تشغلنا عن البداية الصحيحة . الصدق . إنى امرأة معجبة بنفسها ، ذكية ، على درجة عالية من الثقافة . وأنت محام ذكى وقبل ذلك أنت رجل . أنا الأنثى القادرة على أن تأخذ ، وأنت الرجل القادر على أن يعطى . تأتى إلىّ وأستقبلك . ونصدق أنفسنا ونحترم تفاهاتنا . ونرضى بما نحن فيه ، حتى نفهمه ونستوعبه لنتغلب عليه . لقد أصابك التمثيل بالشلل . تريد أن تعيش فى دور بطل الثورة . كلنا الزعيم .. كلنا الذى يرفع الرأس . كلنا الذى قهر الاستعمار والاستغلال .. كلنا أنفسنا . يكفى لأن تعود إلى الحقيقة أن تدرك أنى امرأة ، وأن تعرف أنك رجل وسوف ننطلق فى عالم الشراهة كأطفال حرموهم من طفولتهم وتعاملوا معهم كأنهم كبار ، أبطال ، ألا تعجبك هذه الموعظة من فوق مقعد قطار . الأمر ببساطة . أنى أعود بك إلى الحياة التى تستطيع أن تتمتع بها . لن تتمتع بكسب قضية كبرى تدافع عن ثورة وقومية ، لن تتمتع باختراع مركب فضاء . حدودنا فى

المتعة أن نركب السيارات الفاخرة إذا استطعنا ، أن نرحب بالفرصة التى تأوينا فى فنادق خمسة نجوم . أن تدخل قائمة طعامنا أنواع السومون فيميه والنواجرا والكافيار والاستاكوزا . وأن تكون لدينا أموال نبنى بها المساجد ونقيم الموائد للفقراء أمام أبراج عالية نملكها .

هجمت عليه فجأة صارخة :

- ماذا بك .. عيناك تخيفنى .

نظر إليها مذعوراً .. قرصته فى خده .. قائلة فى عتاب :

- عيناك تقولان إنه مازال حيا .. أقصد أنه مازال ميتا فى صدرك .

هز رأسه يطرد البلبلة فى رأسه وقال بلهجة أراد أن تبدو ساخرة :

- تريدين أن تخلصى من كل شىء .. أوافقك بشرط ..

أضاف ببطء :

- تفعلين مثلما فعلت .

نظرت إليه تتساءل .. فقال فى حماس :

- كما قذفت بالممثل .. تقذفين بالكتاب .. وينتهى الأمر .. وننسى كل مافات .. ونبدأ حياتنا الجديدة من الصفر كما تريدين ..

تفحصته بعينيها . وهمست وهى تشير بسبابتها وطلاء أظافرها فى لون الدم :

- قبلنـى .

فلما افترقت الشفاه . عادت تهمس :

- هل ما تقوله نهائى ..؟

سـأل :

- ماذا تعنين ؟

قالـت :

- أريد أن أصدقك .. لكن الذى تقوله يعنى أنك تريد امراً آخر .. وتخشى أن تبوح به .

همـس :

ـ ربمـا ..

ورأى القطة تتحول إلى عفريت .. واقف بالباب يبتسم وقالت قبل أن ترى العفريت ، تداعبه وتشدد من أذنيه :

ـ أنت جبان رعديد .. فأر وكنت أظنك أسداً .

كان يصرخ بأعلى صوته :

ـ أنا فى أشد الحاجة إلى رؤيته .. أقابله .. ألعب معه الشطرنج .. أحدثه عن نفسى .. بعد أن تخلصت من الممثل وظهر لى العفريت .

www.library4arab.com/vb

الفصل السابع

كان واثقاً أن العفريت ظهر له ليلبى طلبه ، وكانت الأفكار تتدفق شلالات هادرة تكتسح فى رأسه أى احتمالات أخرى غير أن يلتقى به ، وسوف يقنعها بأن زيارة يقوم بها ، سوف يعود منها بمعلومات وتفاصيل لا تقدر بمال تزود بها كتابها الفريد . وتوقع أن تطلب الذهاب معه ، لكنه واثق أن العفريت لن يسمح لنا بالزيارة ، ربما لأن وجودها يعطل الرحلة . قد تثير مشاكل لا مبرر لها إذا ما اعترض على مقابلة صحفية لا يعرفها ، جاءت من جيل آخر وعهد آخر ، ويكفى أن يعرف أنها تخرجت فى الجامعة الأمريكية ، يرفض مشروع اللقاء برمته ، فما الذى يشجعه على الإدلاء بأحاديث صحفية بعد أن ارتفع إلى مثواه فى ذمة التاريخ ، وكانت كل دقة من دقات عجلات القطار تنبض فى عروقه ، دقات منتظمة تصاحب صوت ارتطام العجلات بفلنكات القضبان الحديدية . ومع تصاعد النبض ضاق مجال الرؤية ، فلم يعد يرى غير العفريت ناعماً أملس كعمود أبنوس ، بينما اختفى منظر المروج الخضراء التى كان يشقها مصرف تسبح فيه جاموسة ، أما عيناه فتبحثان عن عينيها ، ليحصل منهما على موافقة ، أو نظرة وداع ، قبل أن ينطلق فى رحلته بصحبة العفاريت ، ولكنه رأى عينيها تقولان له فى إصرار إنها امرأة ، إنها أنثى لا صلة لها بما يتردد فى رأسه . هل تسمع وتفهم ما يقوله بعينيه ، ما لا يستطيع أن يقوله بصوت

مسموع ، لأنه لا يجد كلمات تعبر عنه ، يريد أن يعترف لها أنه وجد نفسه فجأة أمام عفريت وأمام لغز ، ويشعر يقينا أنه هو نفسه اللغز ، الغموض يحاصره ، وهو لا يكذب ، ولا يبحث عن ساتر يختفى وراءه ، الأمر ببساطة أنه يريد أن يلتقى بالزعيم ويحاوره كما كان يحاوره ، وهما يلعبان الشطرنج ، منذ ركب القطار وهجمات عاطفية جياشة تجتاحه فى نوبات لا يدرى لها سبباً ، منذ ألقى بالممثل من النافذة وطرده من حياته وهو خائف من مواجهة صورته فى المرآة ، نظر إليها يتفرس ملامح وجهه ، فلم يستطع أن يصمد وهو يرى ملامح الفأر فى وجهه ، طرد الممثل ، وبقى الجبان الفأر ، لماذا يتهم نفسه بالجبن ، لماذا يشعر بحنين يعاوده للممثل الطيب الذى كان أكثر تعلقاً بالزعيم ، يعاوده الحنين إلى الممثل ، يتمنى لو يعانقه ، لا بأس به ذلك الممثل . كان طيباً أو ساذجاً ، أو منافقاً ، لكنه بذل جهداً جباراً ليخفى الشر ، الذى يكمن فى أعماق البشر ، كان ساذجاً ، لأنه أراد أن يكون خفيفاً قادراً على الارتفاع فى سماوات الخيال ، كان أبله ، من المستحيل أن يفكر فى المال ، كما يفكر هو الآن فى الملايين التى تنتظره ، مع ذلك لا بأس من الذهاب إليه ومقابلته والحديث معه ، بل من الضرورى أن يذهب إليه ويلقاه ويخرج من عنده أكثر قوة وشجاعة على امتلاك المال والتمتع بالثراء .

وارتفع صوتها غاضباً :

- لا تذهب إليه .. سوف أحارب من أجل الاحتفاظ بك .

طوقته بذراعيها ، وجذبته من قميصه بقوة ، فطار زرار من عروة القميص واختفى فى عتمة المكان . لا وقت للمراجعة ، أو سؤال زعيم مضى عهده ، لا وقت يضيع بعيداً عنها ، هى كل ما لديه ، والعفريت جاء للمستقبل ، لما هو آت ، وليس لما قد مضى ، هيا بنا نذهب إلى لوجانو فورا .

فهمس :

- كيف تفلت منى فرصة اللقاء .

وظهر لهما العفريت ، عمود الأبنوس يتحول إلى قرص بيضاوى أشبه

بأريكة تستعد لحملهما .

هتف :

ـ هيا نلقى نظرة سريعة على لوجانو .. يوم واحد نشاهد فيه ما ينتظرنا .

قال كالمخاطب نفسه :

ـ ويفلت منى القطار .

وسمع العفريت كأنه يقول له :

ـ أو تفلت أنت من القطار .

* * *

قال ملاك اليمين الذى يطير بجوار ملاك اليسار على ارتفاع ثلاثين ألف متر فوق القطار :

ـ يبدو أنه متردد .. لم يتحدد بعد أنه سارق أموال .

قال ملاك اليسار :

ـ ألم تقل .. نحن نسجل ولا نتنبأ .

وصاح جنى فى المؤتمر الذى عقده الجن :

ـ مارأيكم لو أدخلناهما التجربة .

وسرت دمدمة بين الجن يقولون ما أغرب هؤلاء الإنس ، نحن ننتقل فى لمح البصر فى هذا الكون العريض ، تحركنا مشيئته ولا نريد سوى طاعته ، أما الإنس فتحركهم أحلام وأطماع وغرائز وشهوات تثقل حركتهم ، فلنساعدهما على الحركة كما نتحرك . والعفريت الذى يتولى أمرهما يستطيع أن يحملهما معا إلى أى مكان ، وارتفعت أصوات الجن فى دمدمات تحركت لها رياح مسحت قمم الجبال ، وقد اتفقوا على مراقبة التجربة الفريدة ليعرفوا من خلال بعض ما يتعرض له الإنس الذين قبلوا الأمانات والمسئوليات وأثقلتهم الرغبات .

وقال جنى بصوت وقور :

ـ راقبوا عودتهم إلى القطار .. فهاهو العفريت يخرج من النافذة .. لكن إلى حين .

وأضاف وهو ينفخ الثلوج التى تغطى فوهة بركان ، فتتطاير تغطى مدنا يسكنها البشر :

- هؤلاء البشر فى أعماقهم شىء لا نعرفه .. يقال إنه ذكرى .. ويقال إنه ضمير .. ويقال إنه حب ، وقد يكون عكس هذا كله .. وعلينا أن ندرس هذا الذى فى أعماقهم ويثقلهم ولا نراه ..

فسرت دمدمة من برق ورعد طرحها الجن فى كل الكون .. أن انتظروا تجربة دخلها رجل وامرأة فى عالم الإنس .

* * *

كان شاطىء بحيرة لوجانو مزدحما بقوارب تتحرك بالقدمين كما تتحرك الدراجات ، وقد خرجا معا من أحد هذه القوارب ، فى ملابسهما الرياضية .. ترتدى شورتا أزرق وبلوزة حريرية بيضاء ، ويرتدى شورتا أبيض وقميصا حريريا أزرق ، وكانا غارقين فى الضحك ، يجرى وتطارده وقد صممت أن تقرصه فى خده كما فعل بها وهو يقفز خارجاً من القارب ، وانتهت المطاردة عند باب العربة الرولزرويس وقد فتحه السائق الجميل كبطل أغريقى وانقضت عليه داخل السيارة ، تقرصه وتعضه والسيارة منطلقة بحذاء الشاطىء فى طريقها إلى ساحل "بارادیزو" حيث اندفعت الرولزرويس فى طريق مرصوف بالفسيفساء على جانبيه أحواض الأوركيد والكريزانتم وعصافير الجنة تحيط ببحيرات صناعية مياهها زرقاء صافية ، يلعب فيها سمك أحمر يتحرك فى جماعات ، وكانت موسيقى خفيفة تعزفها آلات وترية تتسلل ناعمة حنونة إلى الأذن لتسمعها أو لا تسمعها ، ورائحة شهية لشواء ، تشمها الأنف أو لا تشمها ، كيفما يريد وكيفما تريد ، وقبل أن يصلا إلى الدرب الرخامى ظهر عند الباب الخشبى المرصع بالياقوت والزبرجد رجل ضخم مفتول العضلات ، انحنى فى أدب جم وهما يدخلان القصر ، لكمته فى كتفه فكاد يتعثر فى السجاد الفارسى . وكانت تهمس توبخه لأنه فكر فى أن يرفض هذا النعيم ويدير له ظهره ليذهب للقائه ، هل تنادى الرجل مفتول العضلات ليلكمه نيابة عنها .

قال وهو يتثاءب :

- أريد أن أنام .



www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

قالـت :

ـ كنت نائماً في القارب .

فلم يجب ، واتجه إلى غرفة النوم ، وارتمى على السرير ، يزعم لنفسه أنه يريد فعلاً أن ينام ، لأنه عاجز عن التفكير فى أى شىء ، أما هى فقد فتحت النوافذ ورفعت الستائر بالضغط على زر أحمر بجوار السرير ، لماذا تريد أن يدخل النور ، تصر على أن يرى ما أمامه ، وما حوله ، يرى الواقع ويتمتع به ، تستريب فى أن رغبته فى النوم محاولة لاستعادة لحظات قديمة ، يتذكر فيها الماضى ، ألقت ملابسه القديمة خارج القصر ، ربما أحرقتها ، وجاءت بملابس جديدة لها ، وهاهى تتجرد من ملابسها ، وتقف وظهرها للنافذة ، ذراعاها مرفوعتان ، ويداها فوق شعرها .. تداعبه نسمات خفيفة ، فتجعل من خصلات شعرها حمامات تسعى للانطلاق فى سماء الحجرة ، ربما خارجها ، جسدها يقول كلاما صريحا لا غموض فيه . عندما يتكلم الجسد تبدأ دورة جديدة من دورات الحياة ، كدورة شمس من أفق إلى أفق أو دورة قمر ، أو ليل ونهار ، أو دورة أجيال تريد أولاداً لا علاقة لهم بالماضى ، ليته يصدقها كما يصدقها بجسده .

لكن النوم يغالبه ، وعقله مشوش ، ويشعر أنه لن يستطيع إنجاز شىء مما ترغب هى فيه ومع ذلك لا يستطيع أن يتجاهلها ، ولكنه لا يشاء أن يطرد من أعماقه أن العفريت يستطيع أن يدبر لقاء معه .

همـس :

ـ أنت جميلة جداً .

قالـت :

ـ أجمل من كل مافى رأسك .

همـس :

ـ ليتنى أعرف مافى رأسى .

قالـت :

ـ لن تكون علاقتى بك بقرار جمهورى آخر يصدر منه ..

قـال :

ـ لا تسخرى منى .

قالـت :

- أنت الذى يسخر من نفسه ، لا تضع هذه الفرصة الأخيرة .

وانتفض على رنين الهاتف ، وسمع صوت مدير أعماله . حصيلة مكاسب اليوم فى سوق المال ثلاثة ملايين فرنك سويسرى وأنه يأسف بحديثه لأن الفرص كانت تتيح مكاسب أكبر لو استطاع العثور عليه ، لولا رحلتهما فى البحيرة ، كلفتهما بضعة ملايين . رآها ترقد على حافة السرير غير مهتمة بحديثه عن المال . ترقد على مروج خضراء . هادئة ، وديعة . أليفة ، واثقة ، ممتلئة بأعصاب ودماء تنبض ، تندمج مع كل ما حولها من الحجرة إلى أحواض الزهور إلى البحيرة والجبال المحيطة بها إلى نهاية الكون .

همـس :

- كنت تريدين مكاسب أكبر .

نظرت إليه فى عتاب . وصارحته أنه يتكلم دون تفكير ، وليست لديه رغبة فى التفكير ولا تعنيه المكاسب . قالت له أن يتكلم لمجرد أن يقطع الصمت ، ويتخلص من مواجهة جسدها وهى لا تريد أن تتهمه بالعجز ، لأنها تعرف أن مصدر ضعفه هو الطنين الدائم فى رأسه من ذلك الماضى ، إنه يحرم نفسه من كل شىء .

لم يسمع ما تقوله . كان يريد أن يقاطعها ويتكلم . لكنه لم يستقر على اللهجة التى يتكلم بها ، يريد أن يختار صوتا يقنعها ، ربما يقنعه هو أيضا ، لكنه خشى أن يتحشرج صوته أو يتهدج أو يخرج الصوت مسلوخا مبحوحا مجروحا .

أخيراً خرجت الكلمات :

- أنت أهم من كل شىء آخر . وأريد أن ألقاه وأقول له هذا ..

راقبته صامتة . تنتظر المزيد .. قال :

- أنت رقصتى .. أنت أغنيتى .. أنت ما أريد .. أنت قبولى للحياة .. أنت رضاى بالقسمة والنصيب .

نظرت إليه كما لو كانت تعانى من قلق مفاجىء . كان جادا صادقا

وسمعت ماكانت تخشاه :

ـ سوف أكون أكثر صدقا معك .. وأطمئن إلى حقيقة مشاعرى .. إذا ذهبت إليه وقابلته وتحدثت معه .

همست :

ـ أخشى أن تدخل كمينا لا تخرج منه .

وحدثته عن الشراك المنصوبة . والخطر الذى قد يتربص له ، فأراد أن يغريها بأنه سوف يحصل لها على مزيد من المعلومات لكتابها . فاهتزت غاضبة ، واهتز السرير ، واهتزت السحب فى السماء ، وسمع عجلات القطار تدق قلبه ، وسمع صوتها أنه سخيف ويزداد سخفا . لابد أنه مريض .. للأسف أنه مصاب بأخطر أنواع المرض . وقد أصاب عقله وأتلف خلايا مخه وهو يرى الخلايا تتفتت وتتناثر ، مع أشعة شمس الغروب فتزداد توهجا واحمرارا وتنتشر أضواء بنفسجية تكسو جسدها بكساء لامع يوشك أن يفقد لمعانه مع توغل العتمة . وصاح فيها أنه جوعان يريد أن يأكل فى مطعم فاخر . فقفزت فى فضاء الحجرة . وصاحت فى مرح :

ـ مثلك أيها الجبان .. لا يستقيم حاله .. إلا بالشخط والنطر .

وهجمت عليه توجه لكمة فى صدره وهى تصيح أنه يغيظها .. يغيظها .. يستفزها .. وأنها لابد أن تقتله .

وكان المطعم على بحيرة لوسرن . انتقلا إليه فى هيلوكبتر تطير فى لمح البصر ما يقطعه القطار فى ثلاث ساعات . واستقبلهما كبير الخدم ، بدين له وجه شديد الوقار ، له خدا طفل ، وعينا أستاذ جامعى يدمن القراءة ، يرتدى السموكنج بالسترة البيضاء . عن يمينه خادمان وعن يساره خادمان ، ينحنون خلف كبيرهم الذى كان أكثر رشاقة رغم سمنته . وتقدم خادمان لمساعدتهما على الجلوس بجوار نافذة تطل على البحيرة وأشجار الصنوبر ، وعازف بيانو فى نهاية قاعة الطعام يعزف موسيقى "ماهلر" الذى كان يسكن فى أحد البيوت هناك على الشاطىء الآخر من البحيرة ، وكان خادم يقدم قائمة الطعام مزركشة من ورق مقوى مصقول .

ورئيس الخدم يسهب فى مدح البط بصلصة البرتقال . وخادم تتدلى من

حول رقبته سلاسل بها مفاتيح يسأل عن الشراب الذى يفضلونه ليأتى به من القبو .

كان المطعم خاليا ، والعازف فى حالة اندماج وقد انتقل من موسيقى ماهلر إلى موسيقى فاجنر ، وخادم قصير يتقدم وينحنى ويسأل إذا كان كل شىء على مايرام ، وهى تهمس منتشية أن جيش الخدم والحشم وعازف البيانو لهما وحدهما . كأننا فى سينما أو هذه هى الحياة كما قررا أن تكون ، لا تريد أن تقول كأنهما فى الجنة !

تقدم رئيس الخدم يحمل طبقا من الفضة عليه ورقة ، وانحنى أمامه ، فأخذ الورقة وقرأها : ننتظرك فى زيوريخ ومعك كشوف الحساب .. رأت وجهه شاحبا فأخذت الورقة .. وهمست :

- يجب أن ننصرف بسرعة !

قال فجـأة :

- أشعر بمغـص .

والتفت يبحث عن مجهول يتربص به . ووضع الورقة فى جيبه وشعر برغبة فى التبول ، نهض متجها إلى دورة المياه ، فتأرجح فى مشيته . وفتح الباب . فوجده واقفاً يبتسم ..

قـال :

- أنت دائما تقف بالباب تبتسم .

قال ساخـراً :

- أفضل من الوقوف عابسا ..

كان العفريت يتخذ هيئة الخادم الذى يحيط رقبته بسلاسل المفاتيح وكان يقول :

- كنت انتظرك . فأمثالك ننتظرهم عند الأبواب .

لم تعجبه لهجة العفريت . وسأله :

- ما الذى يفيدك من انتظار أمثالى ..

قال العفريت :

- نتعلم .. فهذا الذى يدور فى أعماقكم شديد الغرابة ..

وأشار إليه أن يدخل ، ليتبول . فدخل وتبول . وهو يرقب وجهه فى المرآة . كان متجهما فابتسم . وخرج إلى العفريت وقال له :

- ما رأيك أن تختفى بنا فى آخر الدنيا .

سأله العفريت :

- أى مكان تشاء .

قـال :

- الصيـن .

وعاد إليها قائلا وهو يبتسم :

- مارأيك فى الطعام الصينى .

سألتـه :

- ما الذى جعلك تذكر الصين .

قـال :

- لا أدرى ..

ثم أضـاف :

- هناك أجمل حدائق العالم .. وهذا سوف يفرحك أما بالنسبة لى فاتساءل : إذا اختفينا هناك بعض الوقت ربما انتهت كل المشاكل .

نظرت إليه طويلا قبل أن تقول :

- أنت تريد العودة إليه عن طريق الصين ..

قال شـاردا :

- عندما اقابله .. سوف أسأله : هل هناك أمل فى أن أحصل على حق اللجوء الإنسانى .

الفصـل الثامـن

ازدحم الشارع الضيق بفتيان يرتدون الملابس الرمادية والزرقاء من القطن وبعض الفتيات يمشين على أقدام صغيرة لافتة للنظر والدهشة ، ورجل كهل ينفخ فى غليون طوله متر .. ودقات القطار امتزجت بدقات ضلوعه فيدفعه الألم إلى متجر قماش ، حيث كانت تفحص بيدها الحرير ينشره أمامها البائع يتحدث بصينية لا يفهمها ، وإن كان يبدو لأمر ما أنها تفهم ما يقوله البائع . الذى ابتسم له فى أدب ، وهمس وهو يشير إليه أن ينتبه إلى ما تحت قدميه ، فإذا بأرض المتجر تنشق وتظهر فتحة فى الأرض تبدو منها بداية درج ، وكان البائع قد تقدم من خلف المنضدة التى يقف وراءها واتجه إلى بداية الدرج يدعوهما بنظراته إلى أن يتبعاه . فهبطا درجات تزيد على عشر فإذا بهم فى دهليز طويل مضاء بمصابيح كهرباء تكشف الجدران الصخرية الدهليز والسقف المطلى بلون أخضر ، وانفتح أمامهم فى نهاية الدهليز طريقان ، أحدهما إلى اليمين والثانى إلى اليسار ، فساروا فى اليمين حتى وصلوا إلى ساحة بها أكثر من بداية لسرداب ، فتقدم البائع إلى سرداب ينحدر نحو طاقة من وهج أزرق تبين أنها بهو به مناضد خشبية مستطيلة بيضاء . وحول كل منضدة ستة مقاعد خشبية مطلية بنفس الطلاء الأبيض ، الذى اكتسب تحت الوهج الأزرق لونا بنفسجيا شاحبا ، وظهر فى نفس لحظة دخولهم من فتحة إلى اليسار

رجلان يرتديان الملابس القطنية الزرقاء من طراز ماو أحدهما أبيض البشرة متورد الخدين ، وثانيهما أسمر البشرة له وجه صخرى . وكلاهما شعره أسود ناعم وعيونهما ضيقة مشروطة وكلاهما يبتسم فى أدب جم . تبادلوا الإنحناءات والابتسامات التى لم تفارق وجهى الرجلين الأبيض والأسمر ، وكانا يرددان كلمات ترحيب بالعربية غير واضحة الحروف . فبذل جهداً ليسمع ويفهم . فأدرك أن الابتسامة على وجهيهما تشتت تفكيره ، فحديثهما لا علاقة له بالبسمات . كانا يتحدثان عن أخطار الموت بالقنابل النووية ويشرحان أهمية السراديب تحت بكين . فسوف يأتى يوم يلجأ فيه الناس إلى هذه السراديب ومثلها عندما لا تنفعهم قصور أو حصون ولا تحميهم قلاع على سطح الأرض .. لن يجدوا الخلاص فى جزر نائية تائهة فى المحيطات ، أو واحات مهجورة فى الصحارى سوف يمتد الدمار إلى كل مكان ، ولن تبقى إلا هذه المخابىء يحصل فيها البشر على مهلة ، بعض الوقت ، لعل وعسى يكتشفون علاجا للخروج من المصيبة . كانت الابتسامات تتصادم مع مايراه .. مع لحم اختلط ببرادة زجاج وجثث بلا رءوس ، وكومة من سيقان وأصابع وأذرع يجرفها جاروف ضخم ليزيلها من الطريق ودم أسود كان لزجاً قرمزياً ثم فقد لونه ولزوجته ليتحول إلى بقعة من قذارة على أسفلت الرصيف . وثدى امرأة وقطعة من كتف طفلة مع جزء من الرقبة ونصف رأس ، وحجارة كانت جداراً ، وحديد كان سيارات ، وتراب كان بشراً وكلاباً وقططاً . وروائح نتنة ودوى انفجارات . والرجل مازال يبتسم ويتحدث وتتسع شفتاه بابتسامة توشك أن تقفز من عينيه .

- سمعت أنك تريد أن تعود إليه .. وتقابله ..

همس :

- هذا صحيح .

فاتسعت ابتسامة الآخر وقال :

- هذه مهمة بالغة الصعوبة ..

فصاحت فيه :

- مستحيلة ..

فقال مبتسما :

- انتم على حق فى اختيار هذه المحطة من بين محطات القطار .

دهش لما يسمعه ، فهو لا يذكر انه ركب قطاراً وصل به إلى هذه السراديب ولا يعرف قطاراً ركبه فى محطة مصر فانتهى به إلى بكين . وهو فى كامل وعيه ويعرف أن وصوله إلى هذا المكان كان بواسطة العفريت ، الذى عرض أن ينقله إلى أماكن أخرى ، فى مينيسوتا ، وبودو فى القطب الشمالى ، فكل الطرق واحدة لكن الرجل صاحب الابتسامة والبشرة البيضاء يتحدث عن رحلة فى قطار هبطا منه ، ويتحدث عن شهر عسل قضاه معها فى هاتشو حيث حضرا احتفالات عام الفأر ، وحدائق "ووشى" حيث كل خطوة بدهشة وكل خطوة بشهقة ، وكل خطوة بمذاق وعطر ونغم ولمسة حنان . ثم قال الرجل صاحب البشرة السمراء وابتسامته تتراقص بين شفتيه وعينيه ، إنه مازال شديد الإعجاب والدهشة ، عندما فاجأه فى ممر القطار وكان يراقب معه الحقول ويتحدث معه عن هجوم للجيش الإسرائيلى على بعض قرى جنوب لبنان . فإذا به يريد أن يتشقلب .

صاح وقد صدمته المفاجأة :

- أنا .. أردت أن اتشقلب .. لا أذكر شيئا من هذا .

لكن الرجل روى الحدث الفريد الذى لم يتوقعه ، ولم يشهد مثله من قبل وقد خرجت زوجته من مقصورة القطار وسألته إذا كان هناك أمر يزعجه . فقال لها أن زوجها يريد أن يتشقلب . وعندئذ تشقلب فى الممر فسأله الصينى الأسمر ، إذا كان قد استراح وهدأت نفسه فطمأنه . وسمعها تصيح أنها كانت شقلبة رائعة وهو يسأل نفسه : متى تزوجها . ومتى قضيا شهر العسل . والرجل صاحب البشرة البيضاء يقول له مشجعا :

- واضح أنك استرحت فعلا .

وكانت تتحدث عن الحدائق ، فلكمته فى كتفه وقد لاحظت أنه فى شبه غيبوبة ، واتخذت لهجتها أنغام الزهو والانتصار وهى تحكى عن الحياة مع الورود والأزهار والأشجار والطيور والأسماك . الحياة الحقيقية للإنسان . والرجل صاحب البشرة البيضاء يهز رأسه فى اتجاهها والرجل صاحب البشرة السمراء يهز رأسه فى اتجاهه هو ، كلاهما يبتسم ويتحدث عن "كونج فوتسو" و"بوذا" وعلاقتهما بالأشجار ، وكيف صام بوذا فوق شجرة فارتفع من درجة أمير إلى درجة سامية ، وتردد قبل أن يقول باسما :

- عذرا .. لا نجد فى لغتنا مرادفاً لكلمة الله عندكم .

وتلفت حوله قبل أن يقول كما يحاول أن يتذكر أو يفسر :

- على أية حال المعنى موجود .. بطريقتنا الحسينية . إنه ليس كلمة .. إنه سلوك ..

عندئذ نهض الرجل أسمر البشرة يدعوهما إلى الانتقال إلى مكان آخر وهو يقول :

- الحركة هى الكلمة عندنا ..

وصعدا سلالم السور العظيم ، درجات وأبراج تتلوها درجات وأبراج .. طريق لا ينتهى . وسور أبدى . ومعابد يصعد إليها درجات بعد درجات ، وحدائق يمشى فيها صاعدا ، ملتفاً ، دائراً حول نفسه ، داخلا سردابا ، خارجاً إلى بحر ومراكب أشرعتها سوداء ، هابطاً من ربوة إلى بحيرة ، تفضى إلى خميلة من بعدها جسر ثم قناة ، ثم غابة أشجار كافور فساحة يتوه فيها من يدخلها . وجد نفسه يصيح فى الرجلين الباسمين . كانت عيناه فى عينى صاحب البشرة البيضاء :

- لماذا تبتسم .

والتفت إلى صاحب البشرة السمراء .

وعاد يكرر سؤاله بلهجة عصبية :

- نعم .. لماذا تبتسم ؟

نظرا إليه باسمين بلا إجابة . فشعر باستفزاز ، وأصر فى حنق :

- تتحدثان عن الموت .. عن اشلاء وجثث .. وتبتسمان .. لماذا تبتسمان ؟.. قال صاحب البشرة البيضاء باسماً :

- لا أفهم .

وقال الثانى :

- هل توضح لنا ما تريده ؟

هتف :

- أتسخران منى .. هذه الابتسامة كما لو كنت أقوم بحركات هزلية .. لاضحاككما ..



www.library4arab.com/vb

www.library4arab.com/vb

قال ذو البشرة السوداء باسماً :

ـ إننا لا نضحك .. ولا نسخر ..

صاح :

ـ لكنك تبتسم .

قال الرجل فى عجب مما يسمعه :

ـ هذا من طبيعتنا .. كلنا نبتسم ..

وقال الآخر :

ـ إنها بسمة تتصل بالوجود .. ولا تتصل بك أنت بالذات ..

ارتبك . خيل إليه أنه يفهم ولا يفهم .. فهذا الحديث عن الوجود الذى تصحبه بسمة تحول فى ظنه إلى متفرج يسخر من ممثل . أما هى فقد ضحكت ساخرة وقالت :

ـ لا تفقد أعصابك .

وجذبته من يده ، وهى تذكرهما بموعد فى مطعم البط البكينى . وانتهزت فرصة انشغاله بلحم البط الذى هو جلد ودهن يغمسه فى مرق بنى داكن مع كسرة خبز محمص ، لتحدثه عن المشروع الذى تفكر فيه فالصين ترحب برءوس الأموال الأجنبية وعرفت من الرجلين أنهما يستطيعان الإقامة على شاطىء المحيط ويتمتعان بجمال الطبيعة ، فى أمان وعزلة من ثأر الذين يطاردونه بحثاً عن الأموال ، إنهم يفهمون أن المال الكثير وراءه متاعب ومشاكل ، ولا يريدون فتح أبواب النكد على المستثمرين ، وربتت بيدها على كتفه تؤكد له أنهما يفتتحان أبواب حياة جديدة ، وعمر جديد ، تدعمه الأعشاب الصينية وابتسامات الوجود والنظرات الوديعة والأدب الجم ، وقالت إنها سعيدة بأدهنة الشعر والبشرة ، وجلدها اكتسب نضارة وحيوية ، والشباب فى هذا البلد يبدأ بعد الستين ، لا توجد ضغوط لعلاقات كاذبة ، وفخامة متعجرفة ، وأناقة رخيصة ، ودعايات خادعة ، هنا تستطيع أن ترقص وترقص وتغنى وتأكل وتأكل ..

كان يصرخ فى أعماقه : كفى لم أعد احتمل هذا الحصار من الأوهام ، ليست هذه هى النهاية ، كنت أريد فرحة وبهجة وحيوية وخصوبة ، وأحقق أحلاماً .. الآن يحاصره الواقع حائطا لا نهاية له ، سورا عظيما أبدل

المفاجأة بالحلم والغرابة بالخيال والانبهار بالسحر ، وكان يبحث عن كلمات يعبر بها عن غضبه .. عندما ظهر "روى" رجل الأعمال ، ولابد أن اسمه الصينى كلمة أخرى . لكنه جاء فى ملابس أوروبية ، طويلا على غير عادة الصينيين يتحدث الإنجليزية بلهجة أمريكية ، وجلس معها وقد جاء الشاى ، وبدأ بكلمات الترحيب ، وقد غابت من وجهه الابتسامة ، فافتقدها وكاد يطلب منه أن يبتسم لولا أنه واثق من غرابة مثل هذا الطلب .

وقال روى فجأة وهو ينقل بصره بينهما :

- إنهم يطالبون بالمال .

جاءوا وراءه من زيوريخ إلى بكين ، وإن كان روى يقول إنهم ينتظرون الآن فى شنغهاى .

وربت روى على كتفه قائلاً إنه يستطيع أن ينقذه ، فالصين لديها أقمار صناعية ممتازة ، أرخص بكثير من الأقمار الأوروبية والأمريكية ، ولن تتدخل فيما تذيعه الأقمار وتنقله إلى العالم ، والخبرة موجودة وقطع الغيار متوافرة .

قاطعه :

- ما جئت لهذا ..

قال روى :

- أعرف .. لكنك فى طريقك إليه .. وتستطيع أن تستشيره .. وأنا واثق أنه سوف يهديك إلى الحل الصحيح ، وهو أن تتعاون معنا وأن تدع لى مهمة تسوية الخلافات بين أصحاب المال .

قال :

- نحن هنا فى زيارة .. ولن تسمحوا لأحد أن يأخذ أموالنا ..

قال روى إنه لن يتدخل فى أموره الخاصة ، وهو يتكلم كرجل أعمال يعرض صفقة رابحة ، لكنه لا يستطيع أن يضمن عاقبة تصرفاته إذا تجاهل كل ما يحدث ، ولا أحد يسيطر على تصرفات الآخرين بنسبة مائة فى المائة .. وهو قد حول المال إلى سويسرا ، ثم إلى الصين ، وفى ظنه أنه قادر على أن يسيطر وحده على المال ، مع أن المال يدخل مشروعات ،

وتكون له شخصية مستقلة ، ويدافع عن نفسه ، وله أحلامه الخاصة ، وأحياناً تكون له نزواته ، وهي ليست بالضرورة ما تريده أنت أو زوجتك .. وقد تكون غير موافق على ما أقوله ، لكن الأمر ليس بالموافقة وغير الموافقة ، وليس بالتمنيات ، إنه واقع يفرض وجوده ـ لم يقل يفرض ابتساماته ـ وسواء كان يأكل البط البكينى هنا .. أو الهامبورجر هناك ..

قاطعته قبل أن يكمل :

ـ مشروع القمر الصناعى .. لم نعد نفكر فيه .. إنه نهاية أوهامنا ..

قــال روى :

ـ أين الملجأ .. أين المفر .. كل خطوة فى الواقع أكثر غباء من كل خطوة فى الخيال .. الألغاز أفضل .. والسحر أفضل .. وغير الواقع أفضل .. الواقع مثل جلد البطة ودهنها ومرقها .. لذيذ حتى يتحول إلى فضلات عفنة يتبولها الجسد أو يتبرزها .. إننا لا نتبول ولا نتبرز الأمانى .. إنها تبقى معنا .. ولكنى رجل أعمال له خبرته ، لذلك أتحدى من يهرب من الواقع ، إذا شئت البكاء لك ما شئت . إذا شئت أن تزهو بلحظات عشتها مع الأمل لك ما شئت ، لا أحد يحجر على حريتك فى البكاء أو الفرح ، أعظم الأمانى تفقد رونقها عندما تتحقق .

قال محتجــاً :

ـ إلا أن ألقاه الآن .. خارج الواقع .. ينقلنى إليه عفريت فى الانتظار .

قــال روى :

ـ صدقنى .. لو تحقق هذا .. سيفقد سحره ..

ونهض قائــلاً :

ـ أمامك فرصة الاختيار .. إما أن نفكر جدياً فى مشروع القمر الصناعى ، أو تذهب إليه .. وتتحمل الصدمة .

قال فى عناد :

ـ لابد أن أذهب إليه ..

عندئذ قالت وهى تصطنع ابتسامة تخفى قلقها .. إنها تريد أن تسير معه ليفكرا فى الأمر قبل أن يعطى رده النهائى لروى .

وسارت معه على رصيف الكورنيش الممتد بحذاء خليج هاتشو .. المراكب تفرد أشرعتها السوداء ، والقناديل تنشر أضواءها لامعة في مياه الخليج ، وصمت يترقب ، وهدوء يلتف حول السائرين فتختفي أصوات دقات أقدامهم على الرصيف ، وتتحول أصواتهم إلى همسات وأنغام بعيدة تمتزج بسحاب أبيض بأشعة قمر يظهر ويختفى ، قالت إنها تريد أن تبحث الأمر ، لكنها ظلت صامتة ، فلما فتحت فمها كانت تشكو من تسلخ فى قدمها ، لم تتعود المشى ، لم تتعود الحركة فى طريق طويل .

وفكر أن يواصل السير ويتركها تفحص قدمها ، تذكر سباقه القديم فى سيارته مع القطار ، لكنها تتألم ولابد أن يقف ، وتلفت وراءه وقد أبطأ السير كأنه يخشى أن يلحق بهما من يطارده ، جاءوا يطلبون المال ، وسوف يأتون أفواجا بعد أفواج ولا نجاة منهم حتى فى الصين ، هل يقبل حركة المد والجزر بين أمان وواقع ، أمل وفلنكات تدق قلبه وهو يجرى فوقها ، أين العفريت .

وسمعته يهمس :

- أين العفريت ؟!

مدت يدها إلى جبينه ، تحاصر خواطره وتلمها ، وتؤجل لعدة ثوان قراره ، إنه طفل وهى أمه ، لماذا لا يناقش الأمر معها ، تدعوه إلى العقل ، ربما تدعوه إلى الجنون ، ما أروعها وهى تضحك ، وهى تحاول أن تبعده أو كما تقول .. تنقذه ، لابد أن يحسم الأمر ، وليكن ما يكون ، لقد تحول إلى ساحة تتبارى فيها الأحلام والواقع ويتمزق أشلاء ولا أحد يدرى أنه يتمزق أشلاء ، إنهم مشغولون بأشلاء يتفرجون عليها فى شاشات التليفزيون ليحصلوا على مناعة ضد التمزق ، لكنهم أصبحوا هلاهيل خرق رثة ، لم يعد هناك مفر من لقاء الزعيم .

وكانت تمسك بتلابيبه ، وهى تستند عليه بكل ثقلها ، ليساعدها على المشى على قدمها المسلوخة ، وصوتها القوى يهتف فيضيع فى هدوء الليل وأشعة القمر ومصابيح تضىء الطريق وكأنها نور لا ينبعث من مصابيح .

كانت تقول :

ـ لم يبق منك إلا ماهو أملاكى .. أنت لى .. لا شىء منك يملكه أحد غيرى .. حتى ذلك الزعيم الذى تريد الذهاب إلى لقائه .

وظهر العفريت وماكاد يراه ، حتى ردد باسماً :

ـ فى الطريق إليه ..

قال العفريت باسماً :

ـ فهمـت .

الفصــل التاســع

صاحت مذعورة :

ـ حذرتك .. لو التفت إلى الوراء سوف تتحول إلى تمثال من ملح .. لا تتوهم أن كتابى عنه إلتفاتة إلى الوراء ـ قلتها لك صريحة ـ إنى أكتب لأنتزعك منه .. تتخلص من الماضى .. تتحرر منه .. أما لو عدت إليه الآن فسوف تفسد عقليتك أو تصاب بلوثة لأنك سوف تنعزل كالمجانين عن عالمنا .. اسمعنى .. الذى يذهب إلى لقاء الموتى لا يعود .. هذه سكة الذى يذهب فيها لا يعود .

رأت أنه ذاهل يحتمى بذهوله حتى لا يستجيب لتوسلاتها .. فصرخت :

ـ أريد أن أفهم مرة أخرى .. ما الذى تريده منه ؟

قال بسرعة :

ـ أريد أن أراه .. سوف أفهم .. أعود إليك أكثر فهماً ..

هتفت :

ـ تعود مجنوناً أكثر فقراً .. سوف تسأله عن الخمسين مليوناً .. وسوف يقنعك بالعدول عن الخطة .. مجرد تفكيرك فى سؤاله دليل على أنك غير مقتنع .. خائف .. رعديد ..

وجذبته من شعره فى محاولة يائسة للفتك به ، خربشته ، وعضته ، وهو

يقاوم حتى أفلت منها أو لم يعد يراها ، وربما سمع صوتها خافتاً .. يردد من بعيد كلمات التحذير .. ثم سمعها تصيح من بعيد مخاطبة العفريت أن يحافظ عليه وأدهشه أن العفريت كان يقول لها باسماً :

ـ هذا واجبى .. فقد دفع الثمن .

أى ثمن يقصد العفريت .. وخيل إليه أنه يسمع الإجابة ، وأن الثمن الذى دفعه هو الممثل الذى ألقى به من نافذة القطار ، والجبان الذى يتخلص منه وهو يقدم على هذا اللقاء والمخاطرة بضياع الملايين .. وأنه يسعى إلى مقابلة يخرج منها شجاعاً جريئاً يحيا حسب رغباته .. يعترف بأكثر هذه الرغبات غرابة أو شذوذاً ، وقد حطم القيود وأساور الحديد التى كانت حياة التمثيل تقيده بها ، وابتسامة الخوف والحياء تقهره بها .

ورأى ألواناً سوداء تتوهج وتلمع وتتموج بدرجات لا حصر لها فيما يبدو أنه جسد العفريت الذى كان يهمس له .

ـ انتبه .. أنت ترانى الآن كياناً غريباً لا تستطيع أن تحدد معالمه .. ذلك لأنى انتقل بك فى الزمان وليس فى المكان .

فهمس :

ـ هذا ما أتمناه .. وهذا هو ما انتظره منك .. أن تحقق ما وعدت به .

قال العفريت :

ـ الزمن الذى فات قد مات .. والزمن الحاضر والمستقبل لا علاقة له بالموتى .. لذلك سوف تقابله فى زمن خاص .. يمارس فيه بقاءه فى انتظار يوم الساعة ..

قال لنفسه :

ـ آن الأوان لأن يدخل القطار محطة السلطة . لم يعد هناك ضمان لأى شىء ، وهو لا يعرف رأسه من قدمه ، القطار يسرع ، وأصوات رجال شرطة يتصايحون ، وبين وقت وآخر يفتح أحدهم الباب ويطل عليه ، وقد يبتسم ثم يختفى . آخر من فتح الباب غمز له بعينه فلم يفهم مقصده . لكن خاطراً مروعاً انبثق فى رأسه . هؤلاء رجال شرطة . أم جن وعفاريت ، فالأمر يبدو غريباً . والأصوات التى يسمعها من خلف باب عربة القطار كان سمعها من قبل ، نعم . هذا هو الصوت الذى كان يصيح ، الثورة لابد أن

تكون لها قرابين ، صوته عريض يجلجل ، نفس الصوت الذى كان يردد : أنا كبير العائلة ، هاهو يقهقه ، لابد أنه يمسك بالغليون بعد أن أخرجه من فمه ليطلق هذه القهقهة المريضة ، هل يقابله فى طريقه ، يعترضه ويسأله : لماذا جئت ، ولماذا تريد مقابلته .. مبارك لم يمنعه من ركوب القطار ، ولن يعترض على اللقاء ، أما كبير العائلة فيقف فى الطريق ، صوته مسموع فى ممر العربة ، هل هو صوته ، أم صوت عفريت يقلده ، كان مدفوعاً إلى النهوض وفتح الباب ، فلم يجد كبير العائلة ، وكان عساكر يتصايحون فى الممر ، ورجل يمرق ويفتح باباً يدخل منه حاملاً أكواب شاى وقهوة ، ورأى عينين ترقبانه ، التقت النظرات ، وكانت نظرات الرجال تسأل : لماذا لا تحول نظراتك ، فارتبك ، لأنه لم يجد مبرراً لما يفعله ، ولم يسعفه خاطره بإجابة كاذبة ، إنه لا ينظر فى عينى أحد ، إنه فى أعماق نفسه ، عزلوه .. عقموه .. قطعوا صلته بالماضى ، وخططوا لمستقبلهم السعيد ، وقالوا له خطط أنت لمستقبلك ، فأنت حر ، وإذا بالرجل الذى يرقبه يسأله :

- هل أفقت من حالة الذهول ؟!

ولوح بأصابعه أمام عينيه .. وهو يقول ساخراً :

- كيف تقابل وأنت فى حالة ذهول .. يبدو أنك لن تفيق أبدا ..

همس متحدياً الرجل :

- لا شأن لك بى .. هو وحده الذى أريد أن أقابله وأتحدث معه .

قال الرجل وهو يفسح الطريق له حتى يتقدم فى الممر :

- نعم .. هو وحده صاحب الكلمة هناك فى الداخل .. الكلمة ليست لهم ..

ما أسهل كلماتهم .. أما كلمته فشىء مختلف .. لأنها أوامر للتنفيذ تهبط عليهم تصعقهم أو تسعدهم .

خيل إليه أنه يسمع صوتها قادماً من بعيد .. الأسلوب هو الرجل .. أسلوب التعامل .. أسلوب العشق .. أسلوب الحكم ..

قاطعه الرجل وكأنه يسمع ما يدور من همس فى صدره ويكمل ما يسمعه :

- أما هو .. فقد وقع أسير أسلوب التعبير عن الذات .. مصر تعبر عن ذاتها .. العروبة تعبر عن ذاتها .. الإسلام يعبر عن ذاته .. ثم انتهى الأمر إلى ماتراه .

وأشار الرجل بيده إلى الباب يدعوه إلى الدخول .. فمد يده وفتح الباب ، فرأى أمامه مجلس قيادة الثورة مجتمعاً ، ورآه جالساً على رأس المائدة المستطيلة التى يلتفون حولها ، ولم يدهش ، رغم أنه يعرف أنه مات ، وأن معظمهم مات ، وكبير العائلة الذى يمسك بالغليون قد لقى مصرعه ، وصديقه الذى يجلس على يمينه عند رأس المائدة قد انتحر .. وكانت الكلمات تتطاير في العربة ، ولم يشعر أحد بوجوده ، الإصلاح أولاً .. ضرب الأفاعى أولاً .. لن نقضى على الأفاعى لأنها سوف تدخل الشقوق وتنتظر ، وعندما تشعر بالدفء تخرج من جحورها وتلدغنا ، كان كبير العائلة مازال واحداً من الجالسين حول المائدة لا يميزه غير صوته وغليونه وعنفه ، وكان الجالس على يمين رأس المائدة ينظر إلى الأمام ، عيناه ضيقتان ساهمتان ، فيهما معاناة كما لو كان يرى شيئاً يزعجه أو لا يرى شيئاً على الإطلاق ، ولا يعرف أنه سوف ينتحر ، ورأس المائدة صامت يستمع باهتمام ، كيف هذا ، كان الاجتماع مازال منعقداً مع بداية أحداث الثورة ، كأن اللحظة التى يتم فيها اللقاء الخاص فى الزمن الخاص ، هى لحظة البداية ، لا يعرفون أنهم سوف يتساقطون واحداً بعد الآخر الكل مجتمعون على أتم استعداد للمناقشة ، تنبض أصواتهم بالحيوية والحماس ، وارتفع صوت .

- المهم .. هو أن تنتظم صفوفنا أولاً ..

وهنا ارتفع صوت رجل قصير القامة بشرته بيضاء ، وله وجه له ملامح طفل :

- الخطر من الرجعية .

وتحدث عن قوائم أسماء قال أنهم الأعداء ، معروفون ولابد من التصدى لهم فى الشارع ، الجماهير ، العمال ، الانتخابات .

فقاطعه آخر بشرته بيضاء وله وجه صبى وسيم :

- أمامنا القرآن والسنة ، هذا هو دستورنا .. من يخالفه كافر .. نقطع دابره .. نقطع رأسه .



www.library4arab.com/vb

ونفرت عروق فى رقبته .. وأحمر وجهه وهو يزعق :
- الشعار الشرعى الوحيد .. هو : لا إله إلا الله ..

وهنا انتفض من يجلس قبالته حول المائدة ، بشرته بيضاء وله وجه من شمع وصوته رتيب .
- إذا لم نستخدم عقولنا .. فالأفضل أن ننسحب ونعود إلى الثكنات .

ودق على صدره بيده قائلاً :
- إما أن نكون السلطة أو نتخلى عن الأمر كله .. لأنه سيتحول إلى فوضى وتهريج .

قال الجالس على رأس المائدة بصوته المعدنى :
- ماذا تعنى ؟!

قال صاحب الصوت الرتيب وهو يدق صدره من جديد :
- اقترح عليكم تفويضى بالسلطة .. وسوف أكون مسئولاً أمامكم عن النظام والأمن .. لا نترك لكل واحد أن يشدنا فى اتجاه ..

وعندئذ انفجر آخر له بشرة بيضاء ووجه مربع سمين :
- النظام بالانتظام فى الصلاة .. النظام بالتعود على الوقوف فى صفوف المصلين ..

وهنا صاح آخر بشرته بيضاء تغطى وجهه نظارة سوداء كبيرة :
- أقسم أن هذه فوضى .. وإذا لم تتفقوا على رأى الآن فسوف أنتحر أمامكم .

وأخرج مسدساً لوح به ، وهم ينظرون إليه فى هدوء كأنه لا يهدد ولن ينتحر .

ويبدو أن العفريت لاحظ ما أصابه من هلع وهو يتراجع أمام المسدس الذى يلوح به صاحب النظارة السوداء .

فقال : - إنهم لا يرونك .

ثم أضاف وابتسامته تأخذ أشكالاً هندسية ، دوائر ومربعات ومثلثات :
- هل تريد أن تستمر ؟!

قـال :

- متى يخرجون من هذه العربة ؟!

قال العفريت :

- هذا هو مجلسهم .. يظلون فيه حتى اليوم المعلوم ..

فسألـه :

- وماذا عن الأحداث التالية ؟

قال العفريت :

- كلها انتهت إلى ما بدأوا به .. ألا تصدقنى .

قال مستريبا :

- كيف أصدق ؟!

فقال العفريت :

- تستطيع أن تقابله ، وتراه ويراك ..

فرأى أنه يدخل مكتبه وقد عاد من رحلة فى الصعيد ، وكانت رقعة شطرنج أمامه رص عليها القطع ، وكان قد اختار القطع السوداء ، ويقول له وهو يدعوه للجلوس أمامه ..

- أريد اليوم أن أدافع .. وأتركك تهاجم .

فسألـه :

- أى دفاع تختار ..

هز رأسه فى عدم اكتراث وقال بلهجة غريبة :

- دفاعى أنـا ..

كان صوته خالياً من الرنين المعدنى ، وفوجىء به يسأله :

- هل توقعت لهذه الثورة النجاح ؟!

ثم رفع صوته غاضباً :

- ما أريد أن يفهموه .. أنه ليس أمامنا خيار .. نحن فى موقف دفاع وليس هجوم .. أنا مضطر إلى أن أدافع .

وأمتدت يده إلى قطع الشطرنج السوداء أمامه ، فأزاحها بيده ، وهو يقول كالمخاطب نفسه :

ـ أتدرى أدافع ضد من ؟!

ووجه إليه نظراته الثابتة .. كأنه يكرر السؤال قبل أن يجيب عليه :

ـ أدافع ضد قطعي ..

وكانت تتساقط على الأرض .. ويده تزيحها من فوق الرقعة .. ومن فوق المكتب .

أدافع ضد نفسى .. إنهم يتصورون أن كل شيء قد تحقق بمجرد أن جلسوا فى مجلس قيادة الثورة .. أحدهم وقف على المائدة يرقص .. والآخر صاح ونحن نتحدث عن النظام والأمن .. آلو .. ياسماء .. ابعثى لنا الأمن والحماية ، وآخر يريد الدولارات .. والذى يجلس بجواره يريد الماركات الألمانية ، وأمامه من يريد الروبلات .. ونحن لم نكتشف ذواتنا بعد .. مازلنا لا نعرف أنفسنا .. نعرف الأحلام .. ولا شيء بعد ذلك .

كان يتحدث كما لو كان لا يعرف أنه تخلص من أكثرهم .. فحاول أن يذكره ..

ـ أنت تخلصت منهم .

فقاطعه غاضباً :

ـ أبدا .. كل واحد منهم مازال يصرخ ويثرثر .. لم نتفق على شيء ..

واخترقه بنظراته قبل أن يسأله :

ـ لماذا جئت ؟!

روى قصته .. جمع الملايين باسمه ، واختلفوا .. أودع المال فى سويسرا وهرب إلى الصين .. وجاء ليستشيره .

كان يستمع إليه فى ضيق .. ويردد كالمخاطب نفسه :

ـ كل يغنى على ليلاه .. لكنها ليلى واحدة .

فعاد يسأله :

ـ كيف أتصرف ؟!

فإذا به يقول بصوت غريب :

- زوج زفانج ZugzWang .

وكرر الكلمة عدة مرات .. وهو ينطق حروفها اللاتينية حرفاً حرفاً ..

ومضى يشرح له الكلمة :

- أنت تعرفها فى الشطرنج .. كلمة ألمانية لا تجد ترجمة لها فى أية لغة أخرى ، لكنى عرفتها وذقت مرارتها Zugzwang .. زوج زفانج إنها تعنى أنك أولاً مضطر إلى أن تتصرف ، لابد أن تمد يدك وتنقل قطعة شطرنج فوق المربع المناسب لها ، أنت لا تستطيع أن تلعب الشطرنج دون أن تحرك القطع ولا تستطيع أن تقود ثورة وتحكم دون أن تتصرف وتصدر قرارات ، هذا أمر لابد منه ، وبعد ذلك عليك ثانياً أن تواجه أى تصرف تقدم عليه وأنت تعلم مسبقا أن أى إجراء تتخذه يسىء إليك وضرره أكثر من نفعه ، ومع ذلك لابد من التصرف ولابد من قبول الاضرار حتى تجد نفسك أخيراً وثالثاً فى حالة اختناق ، ومع ذلك لابد أن أتصرف ، لا مفر من أن أصدر القرار بعد القرار ، ولم يعد أمامى سوى أن أحافظ على الثورة ، أحافظ على الذات ، أحافظ على استقلال الذات التى أصبحت أهم من أى شىء آخر .. أهم من السد العالى .. والإصلاح الزراعى .. والوحدة ..

وسكت لحظة قبل أن يضيف :

- فتحت صندوق الثورة .. فانطلق الحرمان وانفجر الكبت وهجم الجائعون على الموائد .. واختلط الحابل بالنابل .. وعندما انقشع الضباب لم يبق أمامنا إلا هذا المجلس ، لم نتحرك خطوة واحدة .. طلبنا أن نعيش أحراراً ولم نعرف كيف نعيش أحراراً .

وهنا ارتفع صراخ من حجرة المجلس .. فنهض وقد تجهم وجهه ، فاعترضه سائلاً :

- لم تقل لى ماذا أفعل ؟

صاح :

- لست مسئولاً عن أخلاقك وضميرك .. مازال أمامى واجبى .. ألا يفلت الزمام فى هذا الصخب الذى تسمعه .

وكان صوت طلقات رصاص ينبىء عن أمر خطير ، فأسرع وراءه إلى

العربة التى ينعقد فيها المجلس ، فكان الضابط ذو النظارة السوداء قد فرغ من إطلاق رصاص مسدسه فى سقف العربة .. متوعداً بأن يخرج إلى الشارع ويقتل من يعترض طريقه .

ورأى العفريت يسأله وهما فى ممر العربة المزدحم بالعساكر .

ـ مازلت تبحث عن شىء .

قال مهموماً :

ـ نعم .. لكن لا أعرف ما الذى أبحث عنه .

فجذبه العفريت من يده ، وعاد به إلى عربته ، حيث كانت تنتظره ممدودة الذراعين ، احتضنته ، ومسحت بيدها على شعره ، وعيناها ترقبانه تدعوانه ليتكلم ويبوح لها بأسراره الجديدة .

قال بعد أن استرد أنفاسه بعض الشىء ، إنه تركه لضميره ، لم يوجه إليه إنذاراً ولم يعترض ، ولم يصدر قراراً ، بل بدا وكأن الأمر لا يعنيه ، ويخرج عن دائرة اهتمامه الحالية ، لأنه مشغول بما يرى أنه خطر حقيقى مازال متورطاً فيه ، وهو هذا الانفلات الذى ظهر بين ضباط الثورة فى الأفكار والرغبات والمشاعر ، ولم يفلح فى التخلص منه ، رغم كل ما اتخذ من قرارات ، ظل الانفلات مستقراً ، ومازال كل واحد يغنى على ليلاه مع أنها ليلى واحدة .

صرخت :

ـ لا تفسد كتابى .. لا أصدق حرفاً مما تقول .

رفضت ما تسمعه ، لقد تسمم بالماضى ، تحاصره لحظات انتهت .. لم يستطع أن يتجاوزها .

وفجأة انتابها وجوم ، أعقبته نوبة هيستيريا ، تتهمه بالكذب ، وبتشويه صورة زعيم تكتب عنه كتاباً لا مثيل له .

تلفت حوله لا يفهم هذه الحالة الطارئة التى استولت عليها ، ويبحث عن العفريت لينقذه فرأى قطاً يقفز من نافذة القطار ، وسمع طلقات رصاص ،

ثم دوى انفجار ، وارتج القطار فاصطدمت رأسه بمقعد أمامه ، وحاول النهوض ، فظهرت من النافذة كهوف ومغارات تفتح أفواهها ، ورأى ذئباً يجري ثم يختبئ .. وسمع أصواتاً تصرخ وأقداماً تهرول .. وهو وحده في عربة القطار .

الفصــل الأخيــر

انفتح باب العربة القريب منه ، ورأى المفتش يلهث ، ويصرخ فيه كالمجنون :

ـ انج بنفسك ..

ولم يتحمل المفتش صمته ، قبض بكلتا يديه على ذراعيه ، وهزه بقوة صارخا :

ـ إنهم قادمون ..

واندفع الرجل نحو باب العربة من الناحية الأخرى يريد فتحه ، لكنه كان مغلقا ، فركل الباب بقدمه ، وركله مرة ومرة وهو يدفعه بكتفه والباب صامد لا ينفتح ، فالتفت إليه مستنجدا :

ـ ساعدنى .. لابد أن نهرب ، هل تريد أن تموت ؟

راقب المفتش ذاهلا ، لا يفهم ، وكانت أصوات الضجيج فى الخارج تشتد ، أصوات أنين ، وحشرجة من يحتضرون ويلفظون أنفاسهم الأخيرة . والذهول يستولى عليه ، فيتذكر أمه تحتضنه فى سريرله وسائد حريرية ناعمة ، صدرها دافىء وأناملها تمسح جبهته وشعره فتدعوه إلى خدر ونوم ، لكنه بدأ يشعر بمغص خفيف وتقلصات ، والدوى يتصاعد وأمه تبتعد وتتقهقر إلى مكان فى رأسه ، وكأنها ذاهبة ولن تعود . وداع مفاجىء

ولن يراها أبداً وسوف تتركه وحده فى هذه العربة والمفتش يحاول اغتصاب بابها . ما الذى كان يحدث فى هذه العربة ، أين ذهبت القطة ، كانت هناك قطة .. أين العفريت . كان هناك عفريت . هو الذى حمله إلى مجلس قيادة الثورة ، وساعده على مقابلة الزعيم . الأمنية التى انتهت إلى هذا اللاشىء بعد أن رفض الزعيم أن يقول رأيا ورفض أن يصدر قرارا وهو الذى كانت قراراته كالقضاء والقدر . كأنه لم يعد زعيما . كيف يتخلى الزعيم عن الذى يسعى إليه يطلب مساعدته . أليس هو الذى كان يلومه لأنه تخلى عن بنت الجيران ولم يتدخل لمساعدتها حتى شاهدهم ينقلونها جثة . أليس هو الذى قال له بصوت قوى حاسم أنه لابد من التدخل ، وأنه لو كان مكانه ، كان بحث لها عن عريس . ضاعت تلك الأيام . لم يعد متحمسا لشىء غير هذا المجلس الذى خرجت منه الثورة . ومازال هو نفس المجلس الذى يراقبه خشية أن يصدر عنه الانفلات . البداية مازالت هى شغله الشاغل ، كأنه مازال يبحث عن بداية أخرى غير تلك التى بدأها . ولكن هل يبرر هذا للزعيم أن يتخلى عنه يطلب منه أن يختار لنفسه أى شىء . أو يفعل ما قرر أن يفعله ، وينفذ ما قالته له . لا تلتفت إلى الوراء ، هيا ننطلق ونتمتع بحاضرنا وغدنا . عندما سأل العفريت أن يذهب به للقائه ، كان يخشى أن ينفصل حاضره عن ماضيه ويفقد ذكرياته ويعيش معلقا فى عزلة عن حياته السابقة . يندفع فى أيام جديدة بعد أن يقتل أيامه القديمة . ماذا يقول لنفسه الآن ، والخدر يسرى فى كل خلايا جسده ، وذلك الضجيج يعلو وطلقات الرصاص تدوى مزمجرة ، وهو لا يريد أن يكلف نفسه مشقة الالتفات إلى النافذة ليلقى نظرة ، أو الانتباه إلى ما يفعله المفتش بباب العربة . لا يريد أن يرى شيئا بعد الذى رآه . أو يسمع شيئا بعد الذى سمعه .

سوف يترك نفسه للأحداث تتحرك به ، فهو عاجز عن أن يفعل غير ذلك . وربما وصل إليها فى نهاية المطاف لتقول له إنها البداية . وانها كثير من المتعة ، كثير من المال ، كثير من المستقبل ، كثير من الجديد ، كيف يكون الجديد جديدا بلا قديم نتذكره . كيف نرضى بالجديد إذا قتلنا القديم . عندما يصل إليها سوف يحتضنها بين ذراعيه ويعترف لها أن الحياة ليس فيها ذكريات ولا تاريخ ولا سياسة . ليس فيها إلا هذا اللقاء بين جسدين عاشقين ، وبعد ذلك اللقاء لا معنى للحياة . الرغبة تتصاعد داخله تدافع

عن وجوده ، تحميه من ضياع فى العدم . إحساس خفى يتصاعد أسفل بطنه ، إحساس رغبة شهوة مفاجئة ، إحساس محرم ، إحساس ذنب وخوف ، كأنه يعود طفلا أو صبيا مراهقا ، أو عاشقا يوشك أن يعلن عن عشقه ويفلت بالعشق من هذا الحصار الذى يفرضه ضجيج لا معنى له خارج القطار الذى توقف فى صحراء مجهولة ، بين كهوف وصخور ، ثم هذا الحصار الذى يفرضه ضجيج رجل داخل القطار ، أصابته لوثة ، يدق الباب يريد أن يحطمه ويخرج منه ، فكأنه يحطم ضلوعه ، ويهشم رأسه ويكسر ذراعيه على باب لا يريد أن ينفتح . لكن الرجل اطلق صرخة ، وترنح واندفعت رصاصات تخترق الباب وتخترق جسد المفتش ، فتنبثق من عنقه نافورة دم ، وتعربد طلقات مدفع رشاش ، تتناثر وهى ترش الموت ويسقط الباب فوق جسد المفتش ، وأقدام رجال ملثمين يدوسون الباب فوق الرجل وأحذيتهم تغوص فى دماء تسيل تحتهم ، ورآهم يتقدمون نحوه وسمع صرخة غضب :

- هاهو كافر ملعون .

وسمع الأمر :

- قـف .

وقف فى الحال ، عاجزا عن استيعاب خوفه وذعره ، عاجزا عن الوعى بشىء له معنى .

وتقدم ملثم آخر ، قصير نحيف ، فى يده سلاح "عوزى" ولكمه فى صدره وصفعه وهو يفتشه ويخرج محفظته وأوراقه وكل مافى جيبه يناوله للرجل الملثم الآخر الذى كان يتهمه بالكفر ، أما الملثم الثالث فكان يصوب طبنجة فى انتظار كلمة أو اشارة ليطلقها بعد انتهاء التفتيش ، لكن الرجل الذى يفحص الأوراق وقف فجأة بين فوهة الطبنجة المصوبة إليه وبينه . ونظر إليه طويلا ، وعاد إلى بطاقته يقرأها . وسأله عن أبيه وجده وسأله عن قريته ، واقترب منه يتفرس وجهه بعينين تبرقان من خلف اللثام وسمعه يقول :

- هل تعرف من أنا ؟

لم يسمع أو لم يفهم ما يسمعه ، وكان الآخران يسألان فى صوت واحد فيه استنكار عن وقوفه أمام الرصاصة التى توشك أن تنطلق فى صدر

الكافر . لكنه قال لهما ؟
- هذا ابن عم أبى .

والتفت إليه وقال بلهجة غاضبة :
- أنا ابن برعى .

صاحـا :
- لابد من قتله .

قال ابن برعى أنه سوف يقتله لا محالة ، رغم أنه من دمه . لكنها فرصة سنحت لابد أن ينتهزها ، ليلقن هذا الكافر درسا قبل أن يموت ، يقول له كلاما كان مكتوماً فى صدره وصدر أبيه ، وصدر أهله فى القرية . وتقدم ونظر فى عينيه وقال بصوت اختلط فيه الغضب بالرثاء وامتزج التشفى بالمرارة والألم .

هاأنت ياابن عم أبى . المحامى الكبير الذى صاحب أكبر رأس فى البلد وكانت له السلطة فى المدينة حيث تعلمت وارتديت ملابس الخواجات . ورطن أبوك بالانجليزية ، وسخرتم منا وقلتم أنكم أفضل منا . تتمتعون بالحياة وحدكم . حياة الكفار . عندما مات أبى لم تكلف نفسك مشقة حضور الجنازة . وقفنا ساعات ننتظر مجيئك ولا ندفن جثته ، وأذكر حديثه لى عن الساقية التى كان يجلس بجوارها معك . لولا أن حذرنا الشيخ أبو أحمد وقال لا تكفروا من أجل انتظارك .. انتظار كافر مثلك . ما الذى أفادك تقليد الخواجات . ما الذى ربحته من حلاقة ذقنك .. ما قيمة هذه الأوراق تحشو بها جيوبك ؟

وفجأة انتابت ابن برعى نوبة هيستريا . فجعل يكرر صارخا :
- أنت دمى الفاسد .. سوف أفصدك . أنت الذى أصابك العطن والنتن وسوف أبترك . سوف أحرق بالنار كل ما بينى وبينك ..

صاح زميلاه :
- ابتعد .. واتركنا نخلص عليه .

فقـال ::
- لا .. سوف أقتله بطريقتى .



www.library4arab.com/vb

وتحدث ثلاثتهم ، وهو يسمع ولا يسمع ، حتى هجم عليه ابن برعى فجرده من ملابسه فأصبح عريانا لا يستر جسده شيء . وقال له :

ـ أخرج إلى الصحراء .. وسوف تنهش لحمك الضباع .

ودفعوا به من الباب الذى اقتحموه . خرج منه وهو يدوس بقدمه العارية الدماء اللزجة التى تسيل من جسد المفتش . وسار .. قدماه تغوصان فى رمال ناعمة قاسية ، بلا طعام أو ماء يتقدم فى قبره الصحراء ، وبعد خطوات سمع أزيز رصاصة اصطدمت بذراعه فسقط على الرمال وخيل إليه أنه يتألم وخيل إليه أنه يرتاح .. وخيل إليه أنه غبى .

فلما فتح عينيه كان الليل ناعماً ساحرا قاسيا يدثره بتعب وصمت وتهاويم غير واضحة تلسعه فى عينيه . وألم مجنون يعوى فى ذراعه وهو يحاول النهوض . لا يرى أحداً ، ويذكر القطار لكنه لا يذكر كيف خرج منه ، ولماذا تركه إلى هذه الصحراء . كل ما يذكره أنه كان هناك معه وأنه تحدث عن النقود التى أودعها فى لوجانو ، وكانت طلقات رصاص جعلت الزعيم يعود إلى جلسته قبل أن يفلت الزمام . ما الذى حدث بعد ذلك . ذاكرته ترفض أن تتذكر . ما الذى أصاب ذراعه . إلى أين فى هذه الرمال . فى هذا الليل . أى اتجاه يؤدى به إلى مكان إلى مخرج أو ملجأ . فجأة تذكر إبراهيم . هل هذا وقت ذكرى كهذه خرجت من جوفه بلا مقدمات كان أيام صباه يحلم بإبراهيم المغنى الذى كان يحكى عنه جده وهو يصب الشاى فى مجلسه بالدار . من سمع غناء إبراهيم طرب كما لم يطرب أحد ، قابله فى المولد وأعطاه مليما أخرجه من سيالته ، واستمر معه حتى أذان الفجر ، فدخلوا جميعا وصلوا ، وكانت ليلة وكان فجرا وشروقا ليس كمثلها ليل أو نهار من أيام العمر ، إبراهيم يغنى ليسعد سامعيه . تمنى لو سمعه ، فوجه جده يؤكد له أنه صادق فى روايته . كان يقول أن إبراهيم ينتقل من قرية إلى قرية من مولد إلى مولد ، قدماه تحملانه إلى أى مكان فى بر مصر ، فيلتقى به سعداء الحظ ، عندما كتب قصة وهو فى السنة الأولى بكلية الحقوق كان يشعر برهبة لأن الكلمات كانت تفرض نفسها عليه ، كانت مناجاة للمغنى وللطرب الذى اختفى من حياته ، للحب الذى يشعر بجوع

وعطش له . قرأ القصة لزملائه عندما دخل عليهم معيد القانون الرومانى . سألهم ما الذى يقرأونه . امتدت يده للقصة وقرأ صفحة ثم توقف وقال باسما .

أنت تنقل من نشيد الإنشاد .

وصاح الطلبة أنه حرامى . ولم يصدق أحد أنه لم يقرأ نشيد الانشاد ، فلما بحث عنه وقرأه ، فاجأته الكلمات "فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى ، طلبته فما وجدته ، إنى أقوم وأطوف فى المدينة فى الأسواق وفى الشوارع أطلب من تحبه نفسى . طلبته فما وجدته . وجدنى الحرس الطائف فى المدينة فقلت أرأيتم من تحبه نفسى" .. لم يصدق ما يقرأه كيف انتقلت إليه الكلمات ، من نشيد الإنشاد أم من جده الذى جعل من إبراهيم المغنى اسطورة . لكن هاهو إبراهيم يعود إليه ، كما لو كان ينتظره هناك وراء أكمة . أو فى نهاية الدرب بحذاء التل . أو هناك عند الأفق الذى لا يراه . تبين فى لحظة أنه عار تماما لا يستره شيء . كيف خلع ملابسه ، لماذا تركها . ما السر فى هذا . والألم فى ذراعه ورمال تغطى جرحا ولا يكاد يرى شيئا ، ولكنه يرى التل والأكمة ويرى الرمال ، ويرى الصحراء والليل يدثرها ، ويتذكر أن مفتشا فى القطار حذره من البقاء مكانه ، وقال له أن عليه أن يغادر القطار قبل الخطر ، وتذكره وهو يتمتم ربنا يستر . ربنا لا تدخلنا فى تجربة ونجّنا من الشرير . هاهو وحده ليس بينه وبين هذه الدنيا أى قناع ، وقدماه تغوصان فى الرمال فكأنهما أقدام البشرية ، أقدام الحياة ، لأنه لا يعرف من حوله بشرية أخرى . لو كان يستطيع أن يرى علامة أو إشارة ، لو توجهه الرياح ، لو يهب نسيم يقوده إلى إبراهيم يقترب منه على صوت غنائه . الفراغ من حوله ناعم هادىء شديد الصرامة والجهامة . نظر إلى يده اليمنى عليها دماء لزجة مختلطة بالرمال . واليد اليسرى بها وخز خفيف وجلده ملتهب بين ساقيه حتى قدميه . وعليه أن يواصل السير إلى أمام لا يثق فى أنه أمام أو خلف ، قدماه تحددان الاتجاه ، خطوط الرمال وهبوطها وارتفاعها تحدد الاتجاه . توقف وصاح بأعلى صوته مستنجدا : ياإبراهيم .. ياإبراهيم .

ومشى ثم توقف ، وهو يتساءل إذا كانت قد أصابته لوثة ، أو أنه يحاول الهرب من خواطر مقبلة عليه تؤكد له أنه ميت لا محالة . ثم انشغل بصوته ، وقال لنفسه أنه صوت غاضب ، أو صوت يائس ، وأنه يوشك أن يفقد صبره ويركبه اليأس ، وقال لنفسه أنه مازال يسير وأن عليه أن يهدأ ويقاوم الإرهاق والنوم ، وسأل نفسه ، هل يتوقف حتى تشرق الشمس

فيرى الأفق . لكنه لم يجب عن السؤال ، لأن قدميه تقودانه عريانا ليست معه بوصلة وكل ما ينتظره أو يتوقعه في عالم الغيب .

وسمع صوتا يتردد في أعماقه . من أين جاء هذا الصوت "وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه" أي إنسان هو .. "هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً" . هاهو يضيع في ليل نسيان وصحراء تيه والقمر غير موجود والرعب ينتظره يوشك أن يسمع دبيبه قادما في جوف الليل ، خائفا من قدومه ، مرحبا به ليؤنسه من وحوش وحدته . شر غاسق إذ وقب . شر يفيض عليه ، والدنيا صماء ورأسه أصم . كل ما يعرفه أنه موجود أنه عريان ، أنه لم يكن شيئا مذكوراً ورسالته مع ذلك واضحة تماما في حدودها التي لا تتعدى وجوده العاري إنه حي ، إنه يتنفس ، قدماه تغوصان في الرمال ، ذراعه اليمنى بها ألم حاد وهو يذكر إبراهيم المغني ، ويعرف أن طائره في عنقه ، فلابد أن يصمد . نعم لابد أن يصمد . قالها بحرقة . فرأى الأفق يلتهب بشهب وكرات نار ، خفق قلبه ، وانتفض ملسوعا وخيل إليه أنه يسمع الآن صوت انفجارات ، وإذا بكرات النار تخترق السماء من اليمين في اتجاه اليسار ، وكرات نار تنطلق مخترقة السماء من اليسار في اتجاه اليمين ثم تصاعدت الانفجارات في كل مكان ، كأنها تحاصره رغم أنه مازال بعيدا عنها ، لكن أية خطوة تدفعه نحو لهيب ونيران ، الرجوع هلاك والتقدم هلاك ، تركوه عريانا ولو بقي مكانه هلك والرمال تسلخ جلده ، والهواء ينشط فيلفحه ، ورفرفة أجنحة طيور سوداء لابد أنها جارحة تحوم فوقه . النيران تقترب والانفجارات تتصاعد تدمدم والرمال ترتجف وتتخلخل ، وفجأة شق السماء ضوء أخضر قهر السواد الحالك . وفجأة ظهر خطان من الضوء أخضران ، وقبل أن يفرح أو يفهم شاهد أشباحا تتناثر ، أجسادا أم أجزاء من أجساد ، أيدي وأذرع وسيقانا ورؤوسا . هل هذا هو مايراه أم هو هذيان . هل يتفكك جسده مثل هذه الأجزاء المتناثرة . أهذا هو ما ينتظره في سعيه الحثيث في الرمال . أهذا هو ما ينتظره مع شروق شمس النهار . لكنه في تلك اللحظة رأى نجما ، أو هكذا خيل إليه ، ثم انبثقت النجوم في السماء نجوما حقيقية لامعة ، لا ريب فيها .

كما لو أن الانفجارات أحدثت ثقبا في ستارة الليل الأسود الحالك . عدة

ثقوب ثم تمزق الثوب وأصبح مهلهلا يكشف عن نجوم السماء . وكان رأسه مدفونا فى الرمال ، ربما سقط رعبا من منظر النجوم ، ربما سجد والدموع في عينيه ، ربما سقط . لكنه غاب عن الوعى ، فلما عاد إليه وعيه ، كان يتذكر سقوطه ، ويتذكر النجوم ويرى عيونا تطل عليه وأيدى ترفعه وهمسات تتحول إلى صراخ ، وكان راقدا على شىء يتأرجح ، يهبط ويرتفع ، ويدخل قاعة مظلمة ، أو بهوا مضيئا وكأن أقداما تدوس رأسه . وأحذية نعالها مسامير تدق صدره ، وكانت عيناه نصف مفتوحتين نصف مغمضتين عندما رآه يطل عليه كيف جاء . كيف ترك اجتماع مجلس الثورة والرصاص ينطلق هناك . وكانت قطة تموء ، وخيل إليه أنه يسمع صوته وأنه يسأل باسما إذا كان مازال يلعب الشطرنج . وامتدت يده فمس بها ذراعه التى تتألم وكان لا يتألم وسمعه يقول له :

- انظر .. هاأنت تخرج من متاهة الزوجزفانج Zugzwang .

أراد أن يخاطبه ، لكن صوته ضاع ، ومع ذلك شعر أنه يستطيع أن يخاطبه ولا أهمية للكلمات تخرج من فمه ويتحرك بها لسانه ، وسمعه يقول له :

- ألم أقل لك أنك تستطيع أن تعتمد على نفسك .. تبدأ من جديد .. هذه الرمال التى دفنتك ، كانت وضوءا تيمما تطهرت به لاستقبال الحياة .

كان يعجب لأن جسده مغطى بدثار أبيض . والزعيم مازال ينظر إليه باسما ، كان الذى حدث ليس بالمأساة . وكان يقول :

- ظننت أنى تركتك .. خدعتك ولم أقف إلى جوارك فى محنتك لكنك الآن تعرف أنى معك لكنى مجرد بشر . مازال عندى موقعى أحافظ عليه حتى لا يتسرب الانفلات طوفانا يغمر ويدمر كل شىء . امض فى طريقك .. لا تلتفت وراءك .. لأنى لست وراءك .. لكنك قد تجدنى معك .. إذا تقدمت إلى الأمام .

قالت لـه :

- نجوت بمعجزة .

ثم أضافت :

- لو كتبت ما حدث فلن يصدقنى أحد .

وساد صمت ثم قالت :

- لكنى سوف أكتبه .. ولا أريد شيئا غير أن أكتبه .

ومضى وقت قبل أن تقول :

- لسنا فى حاجة إلى ملايين ننفقها فى فنادق خمسة نجوم ..

قـال ساخراً :

- أنت تقولين هذا .

قالت : لأنى أريد أن أكون معك .

قـال :

- وتريدين الملايين أيضا .

قالـت :

- لا .. أنت من جيل لا يعرف الملايين . لن تأخذها .. ولن تهرب بها .

قال باسما :

- حاولت .. لكنك تعرفين ما حدث .. جردونى من ملابسى .. وألقوا بى فى الصحراء لألقى حتفى .. وأتى على حين من الدهر لم أكن شيئا مذكورا .

www.library4arab.com/vb

روايات الهلال تقدم :

مريمة والرحيل



بقلم

رضوى عاشور

تصدر ١٥ سبتمبر ١٩٩٥

كتاب الهلال يقدم :

المصريون

بقلم

قاسم أمين

يصدر ٥ سبتمبر ١٩٩٥

www.library4arab.com/vb

رقم الايداع : ٥٢٥٠/ ١٩٩٥

I.S.B.N
977 - 07 - 0404 - 0

www.library4arab.com/vb



فتحى غانم

- ولد فى القاهرة عام ١٩٢٤ ، تخرج فى كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٤٤ .
- صدرت مجموعته القصصية "تجربة حب" عام ١٩٥٧ . اما روايته "الجبل" فقد صدرت عام ١٩٥٩ . ومن أهم أعماله رباعيته "الرجل الذى فقد ظله" ، "الساخن والبارد" ، "الافيال" ، "زينب والعرش" .
- عمل رئيسا لمجلس إدارة دار التحرير لعدة سنوات .
- انفردت "روايات الهلال" بنشر أعماله المتميزة ، منها "بنت من شبرا" عام ١٩٨٦ . "حكاية تو" عام ١٩٨٧ . أحمد وداود عام ١٩٨٩ . "ست الحُسن والجمال" عام ١٩٩١ ، "الـغـبـى" عـام ١٩٩٣ . كما صدر له عن دار الهلال : "بعض الظن اثم ، بعض الظن حلال" .
- حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٩٥ .

هــذه الـروايــة

تقدم روايات الهلال هذه الرواية التى بين يديك باعتبارها أحدث ماكتب فتحى غانم ، تحية له بمناسبة حصوله على جائزة الدولة التقديرية لهذا العام .

وفى هذا العمل الجميل المتميز ، يدخل الكاتب عالمه الجميل الذى يعشقه . عالم الشطرنج الذى يحبه المؤلف والبطل معا . باعتبار أن الحياة لعبة شطرنج كبرى قطعها هى المال والسياسة والحب .

انها رواية مليئة بالاثارة والغموض . وتغوص فى واقع مرعب ينتاب اى إنسان بمجرد خروجه من باب منزله . تعكس ملامح عصر بأكمله عاشه الكاتب وبطله معا . وأطرف مافى الرواية أن مؤلفها قد كتبها اثناء رحلاته الطويلة داخل قطارات تجوب به المدن الأوربية . وعلى سيمفونية صوت القطارات المتحركة كتب فتحى غانم عمله هذا ، مستلهما سرعة ايقاع الاحداث من سرعة القطار ، ويطل عليها مثلما يطل هو على الطرق التى لا نهاية لها عبر النوافذ .

قط وفأر فى قطار .

هرم أدبى جديد فى تراث الكاتب ، والرواية العربية الحديثة .

www.library4arab.com/vb



أدبيات

نبع الآداب والثقافة المعاصرة

من : أدب ، وقصة ، ودراسة ، وسير ، وبحوث ، وفكر ، ونقد ، وشعر ، وبلاغة ، وعلوم ، وتراث ، ولغات ، وقضايا ، وتاريخ ، واجتماع ، وعلم نفس ، ورحلات ، وسياسة ... إلخ .

صدر من هذه السلسلة :

- الإنسان الباهت .	طيبة أحمد الإبراهيم
- الحياة مرة أخرى .	نوال مصطفى
- التنويم المغناطيسى .	يوسف ميخائيل أسعد
- نوم العازب .	محمد حسن الألفى
- من شرفات التاريخ جـ ١ .	د . محمد رجب البيومى
- أم كلثوم .	مجدى سلامة
- المرأة العاملة .	سوزان عبد الحميد أغا
- قادة الفكر الفلسفى .	يوسف ميخائيل أسعد
- الملامح الخفية (جبران ومى) .	لوسى يعقوب
- عبد الحليم حافظ .	مجدى سلامة
- انقراض رجل .	طيبة أحمد الإبراهيم
- الشخصية المتطورة .	يوسف ميخائيل أسعد
- محمد عبد الوهاب .	مجدى سلامة
- الشخصية السوية .	يوسف ميخائيل أسعد
- الشخصية القيادية .	يوسف ميخائيل أسعد
- الإنسان المتعدد .	طيبة أحمد الابراهيم
- الشخصية المبدعة .	يوسف ميخائيل أسعد
- فكر وفن وذكريات .	لوسى يعقوب
- ساعة الحظ .	محمد حسن الألفى
- سيكولوچية الهدوء النفسى .	يوسف ميخائيل أسعد
- الإعلام والمخدرات .	د . نوال محمد عمر
- من شرفات التاريخ جـ ٢ .	د . محمد رجب البيومى
- الشخصية المنتجة .	يوسف ميخائيل أسعد
- الأسرة مشكلات وحلول .	مجدى سلامة
- ظلال الحقيقة .	طيبة أحمد الإبراهيم
- شعرة معاوية ، وملك بنى أمية .	عرفات القصبى قرون
- مذكرات خادم .	طيبة أحمد الإبراهيم

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ٨ ، ١٠ ، ١٢ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية - المكتبات ١٠ ، ١١ شارع كامل صدقى بالفجالة - ١ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى - روكسى - مصر الجديدة - القاهرة ت : [illegible] ج . م . ع / فاكس - 2022596650